مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٨ ص ص: ٦٩- ١١٩ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-8.4

السماع في منظور العلماء

د. محمد بن أحمد الجوير
جامعة دار العلوم

مستخلص. البحث يتناول قضية من قضايا السلوك عند الصوفية، تمثلت فيما يُعرف عندهم بالسماع؛ باعتباره بحسب زعمهم عبادة يتقربون بها إلى الله زلفى، وظاهرة السماع، صاحبها إفرازات عُدّت من متولداته، مثل الرقص والصعق واللطم وتمزيق الثياب..إلخ

وقد نظر إليها علماء الأمة من (السلف والخلف) من المبتدعات في الدين، مما توجّب عليهم إنكارها، والرد على أصحابها، وفق المنهج الحق في الرد على المخالف، وقد شاركهم في الرد والنقد، بعض أئمة ومشايخ ومصنفي الصوفية ذاتهم، وقد شارك في الرد والإنكار بعض الشعراء أيضًا

والذي يلفت النظر، أن هذه الردود والإنكارات كانت في كل عصر ومصر؛ مما يؤكد وحدة المنهج في الدفاع عن العقيدة وتعرية خرافات المبتدعة.

المقدمة

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من نعم الله علينا، أن بعث إلينا محمد ﷺ، وختم به الرسالة، وأقام به الحجة، فحذّر من البدعة، تاركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة: ٣].

وقال ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

فهو رد »[(١)].

من أصول الإسلام، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومناهجهم المعروفة؛ تقرير العقيدة، والرد على المخالف من أهل الأهواء والبدع.

وقد سار علماء الأمة من (السلف والخلف) منذ ظهور أهل الأهواء والبدع، بعد عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، على منهج الدين الحنيف في الرد على المخالفين بالإنكار، والرد، والتحذير، متبعين المنهج الصحيح في ذلك على ضوء منهج القرآن والسنة المطهرة، من حيث الأصول والمناهج، وإن تنوّعت أساليبهم، تبعًا للظروف في قرونهم.

والمتأمل في أحداث التاريخ الإسلامي، بعد انتقال صفوة الخلق محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقضاء عهد الخلفاء الراشدين؛ يجد الخلافات والاضطرابات، فما تلبث أن تنطفئ فتنة، إلا وتطل أخرى برأسها، وما أن تندثر طائفة أو فرقة، إلا وتبرز أخرى متدثرة بالإسلام، كلها تكيد للإسلام وأهله المكائد والمصائب.

فعُرفت الجهمية والجبرية والمرجئة، وعُرف أهل الكلام من المعتزلة والماترودية والآشاعرة، كما عُرفت الباطنية من الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وكل هذه الفرق من غلاة الشيعة، كما عُرفت الصوفية، وكل هذه الفرق والطوائف، تصدّى لها علماء السلف ومعهم الخلف، وأنكروا عليهم بدعهم، وسلوكياتهم، ومناهجهم، حتى صاروا بذلك أعلامًا، بارزين، تحفظ المراجع وأمهات الكتب، جهودهم، وتتناقلها الأجيال بعدهم.

ولعل أبرز تلك الفرق والطوائف، التي نالت نقدًا وردودًا ظاهرة هي فرقة (الصوفية)، التي تدثرت بالزهد والعبادة والنسك في بدء ظهورها في القرن الثاني الهجري تقريبًا، ولم تلبث أن تطورت مراحل نشأتها حتى آل الأمر بغلاتها إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، المفضية إلى الكفر والإلحاد، نتيجة تأثرها بالديانات الوثنية، والمذاهب الفلسفية.

هذه الفرقة، تُعدّ من الفرق التي ابتدعت سلوكيات ومعتقدات مصادمة لشعائر الدين المعروفة من الدين بالضرورة، حتى أصبحت من أشهر الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام ابتداعًا؛ بل هي رأس المبتدعة.

وفي هذا البحث، رأيتُ أن أتناول قضية مهمة من قضايا السلوك عند الصوفية، التي عدَّوها عبادة تقربهم إلى الله، تلك هي (دعوى السماع) وما يتولد منه من إفرازات، لم يثبت عليها دليل.

والغاية من هذا البحث؛ كشف عوار وخفايا الصوفية في البدعة، التي سارت عبر القرون، ومازالت حتى هذا العصر، تتنامى بشكل بيّن، ولن يتأتى كشف حقيقتهم، إلا من خلال رصد ردود وإنكار ونقد العلماء عليهم في كل عصر ومصر، ولعلي في هذا البحث، أكتفي ببعض من هؤلاء العلماء، ممن تميز بغزارة علمه وقوة حجته.

وقد رأتيتُ أن يكون عنوان هذا البحث: « **السماع في منظور العلماء** »

وكان منهجي في إعداده قائمٌ على الآتي:

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ٢٦٧/٢، حديث رقم (٢٦٩٧).

١- عرض شبه الصوفية، ثم بيان موقف العلماء منها.

٢- أذكر تاريخ وفاة العالم لأول مرة يرد اسمه، وذلك في ثنايا البحث.

٣- لا أترجم لأي من الأعلام، للحد من زيادة حجم البحث.

٤- أذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد الآية مباشرة.

٥- أدوِّن معلومات المرجع لأول مرة في الغالب.

٦- اكتفيت بفهرس للموضوعات، وفهرس آخر للمصادر والمراجع.

- التعريف الاصطلاحي للصوفية

تعددت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم، واختلفت الصوفية ذاتها ،حول هذا المعنى، واختلافهم هذا،لا يقلّ عن اختلافهم الكبير حول أصله في اللغة، إذ احتشدت به كتبهم حتى تجاوز تعريفه المائة عند بعضهم[١]، وزادت تعاريفه عن الألف عند البعض[٢]، بل قال بعضهم[٣] أنها زهاء الألفين؛ لذا رأيت أن أكتفي بالقول الراجح في هذه التسمية وهو القول بالنسبة إلى (الصوف). وممّن نقل هذا عن الصوفية السراج الطوسي[٤]، والكلاباذي[٥]، والهجويري[٦].

ويؤيد هذه النسبة السهروردي بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"[٧].

ثم يذكر أن هذا الاختيار ملائم من حيث الاشتقاق اللغوي، لأنه يقال "تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص"[٨].

وممّن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"[٩].

كما اختار هذا القول ابن خلدون بقوله: قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصّون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"[١٠].

- مصادر التأثر

لقد أثبت المؤرخون، تأثر المتصوفة، بمصادر يهودية ونصرانية وهندية ويونانية ومجوسية وفارسية وقد يعود إلى عهود وثنية.

يقول الدكتور زكي مبارك: « الرقص والتواجد في حلقات الأذكار لا يمكن رجعه إلى أصول إسلامية صحيحة؛ وإنما هو أسلوب قديم عرفه الناس في

(١) انظر: اللمع، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د.عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ص(٤٧).
(٢) انظر: عوارف المعارف، عمر السهروردي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ ص(٥٨).
(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوّف، أبي بكر محمد الكلاباذي، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ ص(٩).
(٤) انظر: اللمع، ص(٤٠-٤١)
(٥) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٧، ٢٨).

=

(٦) انظر كشف المحجوب، علي الهجويري، دراسة وتعليق د.إسعاد عبدالهادي قنديل، مراجعة د.أمين بدوي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م، ص(٦٠).
(٧) عوارف المعارف، ص(٦٠).
(٨) ن. م ص(٦١).
(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين (٣٦٩/١٠).
(١٠) مقدّمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ ص(٤٦٧).

الديانات القديمة وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون »[١].

ولكن مع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوالون[٢] ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ بصحبة النساء والمردان حتى تشكَّل السماع بمفهومه المقيد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصراخ والصعق والزعق والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب –كما أسلفت–.

وفي تحقيق لمجلة الهلال المصرية " فإن التصوّف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية، وبوذية، ومسيحية، ويهودية، ويونانية وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوّف الإسلامي، فهذا "فون كريمر" يقول: إن في التصوّف عنصرين مختلفين أولهما مسيحي رهباني والثاني هندي بوذي"

والمستشرق ثولك، يرى أن التصوّف مأخوذ من أصل مجوسي، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي، وكذلك يقول المستشرق الهولاندي "دوزي": أن التصوّف جاء إلى الصوفية من فارس، حيث كان موجودا قبل البعثة المحمّدية. أمّا المستشرق "جولدزيهر" فقد فرّق بين تيارين مختلفين في التصوّف أولهما الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام، وإن كان متأثّرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية. والثاني التصوّف بمعناه الحقيقي وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأذواق، وهو متأثّر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية"[٣]، ويقول أحمد أمين: "ثم إن التصوّف لما كان مختلطاً مع الفقه في العصر الأوّل كان إسلاميا بحتاً، وكان الزهد طوعاً للأوامر الإسلامية، وظلّ كذلك طول العهد الأيوبي... فلمّا دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى، واليهود، والفرس، والهنود، وانتشرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة استمد التصوّف من كل هذه المنابع، فلوّن عند بعض الناس بالزرادشتية الفارسية، وبالمذاهب الهندية، ولوّن عند بعض الناس بالنصرانية، وعند بعضهم بالأفلاطونية الحديثة، ثم اختلطت هذه العناصر كلّها بعضها ببعض، وكانت نزعات مختلفة، وطرق مختلفة على مدى العصور" [٤].

– تعريف السماع

يُعدُّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر عند أولئك المبتدعة الصوفية قديمًا وحديثًا؛ وأفرده الكثير من مشايخهم ومؤرخيهم ومصنفيهم بمباحث خاصة في مؤلفاتهم.

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك ط٢ (مصر: دار الكتاب العربي -١٣٧٣هـ) (٣٨٤/١) هامش (١).
(٢) القوَّال: هو المنشد في ذلك الزمان، المطرب والمغني في زماننا هذا.

(٣) (مجلةُ الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ) ص(١٠٦).
(٤) ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط٣، بيروت، الكتاب العربي (٥٨/٢).
ولمزيد من الاطلاع على هذه المؤثرات في القضايا العقدية والسلوكية للتصوّف، انظر: نظرية الاتصال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي، والمصادر العامّة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.

فلا يخلو مصنَّف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال مشايخ الصوفية وأوليائهم والدعوة إليه والاعتقاد بإباحيته، كالسراج الطوسي في اللمع، والقشيري في رسالته، والسهروردي في عوارف المعارف، حيث عقد أربعة أبواب في السماع، والغزالي في الإحياء، ومحمد بن طاهر في صفة أهل التصوف وغيرها.

فيا ترى ما المقصود بالسماع عند الصوفية؟

السماع لغة:

قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما تلذذت به الأذن من صوت حسن سماع[١].

- السماع في الاصطلاح الصوفي:

عرفه الطوسي بأنه « وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق »[٢].

وقال عنه القشيري بأنه: « بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار تبدو ثم تخفى »[٣].

ولئن أُطلِق السماع عند الصوفية فإن المراد به عندهم السماع المقيد بالنغم لا مطلق السماع، يقول ابن عربي: « السماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبًا بالسماع المطلق »[٤].

- آثار السماع على الصوفية:

عند الاجتماع على الاستماع للمنشد (القوَّال) وهو يلقي الأشعار بالألحان يتأثر الحاضرون وتصدر منهم بعض السلوكيات تشكل إفرازه من إفرازات السماع عندهم تكون متولدة تلقائيًا نتيجة غياب العقل –أشبه بالسكارى–، ومن هذه الإفرازات والمتولدات التي تبدو ظاهرة على هؤلاء: البكاء، والصياح، تمزيق الثياب، اللطم، الرقص، التواجد، الزعق وغير ذلك. وهم يلتمسون لهذه الأفعال سندًا من الكتاب والسنة والقياس.

- الاحتجاج بالكتاب والسنة:

عندما يمارس الصوفية هذه السلوكيات؛ فهم يحاولون الاستدلال على ذلك بالنصوص الشرعية، وهي نصوص استخدموها في غير ما تدل عليه، أو لا تصح أصلاً نسبتها إلى الشارع، وقد وجدت –وللأسف الشديد– قبولاً لدى الرعاع من الصوفية، فمثلاً عند تقطيع الثياب وتمزيقها أثناء السماع يحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[ص: ٣٣].

وأثناء تواجدهم عند السماع يحتجون بقصة رووها عن سلمان الفارسي –رضي الله عنه– أنه عندما سمع قوله

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار القلم (٣٦٥/٦).
(٢) اللمع للطوسي ص(٣٤٢)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية ص(٥٠٣)، إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار العلم (٢٩٢/٢).
(٣) الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية ص(٥٢٥).
(٤) الفتوحات المكية لابن عربي، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩هـ (٣٦٧/٢).

تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر: ٤٣] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربًا ثلاثة أيام[١].

ومن سلوكياتهم عند السماع الزعق والصياح والبكاء، فقد روي عن الشبلي حكاية أنه كان يصلي خلف إمام له، « فقرأ الإمام هذه الآية: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء: ٨٦] فزعق زعقة ظنوا أنه قد طارت روحه»[٢].

وقال الهجويري: « جئت يومًا عند الشيخ أرى العباس الشقاني وكان يقرأ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥] وكان يبكي ويصرخ حتى ظننت انه قد فارق الحياة »[٣].

وحكي عن ذي النون المصري أنه لما دخل بغداد فدخل عليه جماعة معهم قوَّال (منشد)، فاستأذنوا أن يقول شيئًا فأذن لهم، فأنشد يقول:

صغير هواك عذّبني فكيف به إذا احتنكا
أما تنظر لمكتئب إذا ضحك الخليَّ بكى
وإن جمعت من قلبي هو قد كان مشتركا

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨] فجلس الرجل[٤].

كذلك احتجوا بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١][٥].

واحتجوا على جواز الطرب بقوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢][٦].

أيضًا احتج الصوفية على جواز هذه الإفرازات والمتولدات أثناء السماع بما رووه حديثًا عن أنس -رضي الله عنه- قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم؛ وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات؛ فأنشد أعرابي:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا آوى كل واحد منهم إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: اللمع للطوسي ص(١٨٥).
(٢) اللمع للطوسي ص(٣٥٥).
(٣) كشف المحجوب للهجويري ص(٦٤٢).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص(٥١٩)، وعوارف المعارف للسهروردي ص(١٦٥).
(٥) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، دراسة وتحقيق، د. صالح السدلان ط١ (الرياض-دار طيبة - ١٤١٠هـ) ص(٩٥).
(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦ه، (٣٧٤/١٠).

على من حضر بأربعمائة قطعة »[١].

كما استدل الصوفية أيضًا على جواز هذا السماع بما روي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخل عليَّ أبوبكر الصديق وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبوبكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: « **إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا** »[٢].

- **الاحتجاج بالقياس:**

لم يكتف هؤلاء القوم بالاحتجاج بالكتاب والسنة، ولكنهم أيضًا جعلوا من القياس حجة لهم، فقد احتج بذلك القشيري على إباحة الغناء بقوله: « إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء »[٣].

وقد روى الهجويري أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنًا صغيرًا فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله وذكائه، فتوافقوا على أن يأتوا بقوَّال (منشد) فإن حسن الإصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوَّال ضحك الرضيع، فقبّلوا الأرض بين يديه وبايعوه!![٤].

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص(١٨٩).
(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٨/٢)، الرسالة القشيرية ص(٤٦٦).
والحديث عند البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٢/٢) بمعناه.
(٣) الرسالة القشيرية ص(٤٨٢-٤٨٤)، والحداء: من الحدو، سوق الإبل والغناء لها. انظر: مختار الصحاح، للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ ص(١٢٧).
(٤) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص(٤٨٦).

أيضًا يقيس السهروردي السماع على الغيث (المطر)، فيقول « مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية يظهر مكنون فوائدها عند السماع »[٥].

والصوفية عندما تبدوا عليهم هذه الآثار التي سبق وأن بيناها من الصياح والبكاء والزعق وتمزيق الثياب والتواجد وغيرها تحضرهم بذلك الشياطين وتشاركهم؛ بل تأزهم على ذلك أزًا، وهم يقرون بذلك.

يقول الهجويري: « قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يومًا جالسًا في مجلس سماع فرأيت كثيرًا من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيدوا من حماسهم »[٦].

- **السماع قربة عند الصوفية:**

بلغ السماع عند الصوفية درجة قدسية رفيعة، تتجلى تلك عندما عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، واعتقدوا ذلك السماع من الدين المنزل من رب العالمين، وبالتالي فهو عبادة من العبادات التي تقربهم إلى الله زلفى، وأي عبادة!!.

فهذا الجنيد المسمى عندهم (سيد الطائفة) يقول: « تنزل الرحمة على الفقراء –الصوفية– في ثلاث مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا

(٥) آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي ص(١٠٣).
(٦) كشف المحجوب ص(٤٩٧).

صفة الأولياء »[١].

والعجب كل العجب أن جعل الصوفية منزلة السماع تفوق منزلة القرآن -والعياذ بالله-؛ بل أكبر تأثيرًا على قلوبهم منه.

يبدو هذا السلوك جليًا في هذه الرواية فقد روي أن يوسف بن الحسين الرازي كان يقرأ القرآن، فقصده أبوالحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشد أبوالحسن:

رأيتك تبني دائمًا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

كأني بكم والليث أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ الليث لا يغني

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبوالحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين يا بني تلوم أهل الري[٢]: يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليَّ بهذين البيتين »[٣].

وتأكيدًا لهذه الرواية، فقد وصفه الشعراني في طبقاته بقوله: « وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعه، وإذا سمع شعرًا قامت قيامته »[٤].

وهذا أبوحامد الغزالي يقول: « فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن »[٥].

أيضًا حاول الصوفية إضفاء القدسية على هذا السماع من خلال حكايات وروايات ظاهرها الكذب، منها ما روي عن ممشاد الدينوري أنه قال: « رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت له يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئًا؟ فقال: ما أنكر منه شيئًا، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن »[٦].

ومما يدل على كون السماع عندهم من الدين، أن أبا الفضل بن طاهر المقدسي الصوفي (ت٥٠٧هـ) بعد أن أورد ما ظنه أدلة على مشروعية السماع قال: « فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء قد اجتمعوا للسماع وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم وما كان كذلك فهو دين معروف »[٧].

ولا يرون بأسًا في حضور الملاهي لسماع الأغاني لأنهم بزعمهم قد وصلوا إلى مقام اليقين الذي من وصله سقطت عنه التكاليف الشرعية!

فقد نقل عن رجل من المتصوفة، كان يحضر

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٠٩)، واللمع ص(٣٤٣)، والإحياء (٢٧٠/٢).
(٢) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ (١١٦/٣).
(٣) انظر: اللمع ص(٣٦٤)، والرسالة القشيرية ص(٥٢٢).
(٤) الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ (٩١/١).
(٥) إحياء علوم الدين (٢٣/٢).
(٦) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٧٠/٢)، وانظر عوارف المعارف ص(١٦٥).
(٧) صفة أهل التصوف للمقدسي نقلاً عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د.عبدالله الطريقي، ط١ ١٤١١هـ ص(١٥٩).

الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع ويقول: هذا لا يؤثر؛ لأني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيَّ معه الاختلاف[١].

- الرقص من متولدات السماع:

لدى المتصوفة عبادة، يمارسونها على غير وجهها الصحيح، هي عبادة (الذكر).

فالصوفية يتقربون به إلى الله، وهو عندهم ما يسمى بالذكر الصوفي، يفردون الله بالذكر، ويذكرون الله والنبي ﷺ، ثم يرقصون، ويتواجدون ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[آل عمران: ١٩١].

فمن بدعهم في الذكر، ما يجري على ألسنتهم من إفراد الله فيقولون، « الله الله الله الله »، و « هو هو هو »، و « لا لا لا » أو « آه آه آه » أو « عا عا عا عا » أو « آ آ آ آ »، أو « ها ها ها »، أو «صوت بغير حرف، أو تخبيط، وأدبة عند ذلك التسليم للوارد[٢].

ويقول أبوالعباس المرسي: « ليكن ذكرك: الله الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمره، فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصودًا لذاته، بل لما نفع به الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار، ليضمنه جميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقائق... »[٣].

والشاهد من هذا أن الصوفية تمارس الرقص والوجد أثناء ما يسمى عندهم بالذكر الصوفي، لذا صار الذكر قرينًا للسماع عندهم.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن باب الأذكار هو الباب الذي ولج منه هؤلاء للتشريع لمريديهم، حيث وضع كل شيخ طريقة أذكارًا مخصوصة وكان لابد لكل شيخ أن يضفي على ذكره هالة من التقديس فمنهم من زعم أن ذكره أخذه من الرسول ﷺ، ومنهم من زعم أنه أخذه من الخضر -عليه السلام-.

وهذه الأذكار قد تحوي كلمات غير مفهومه، وكل يدعي الوصل بليلى!!.

فكل شيخ يدعي بأن من يردد ذكره له من الأجر كذا وكذا من المنافع الدنيوية، فهذا أحمد التيجاني المولود سنة ١١٥٠هـ شيخ الطريقة التجانية يدعي بأن الرسول ﷺ أعطاه ذكرًا يسمى « صلاة الفاتح » القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة»[٤].

- النظر إلى وجه الأمرد من إفرازات السماع:

ثمة سلوك آخر عند الصوفية لا ينفك عن مسألة السماع عندهم، ذلك أنهم يعملون على تقريب الشباب المرد ويجوزون النظر إلى وجوهم أثناء

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم (٣٥٦/١٠).
(٢) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني، تحقيق وتقديم طه عبدالباقي سرور، ومحمد عيد الشافي، بيروت، مكتبة المعارف (٣٩/١).
(٣) نور التحقيق، حامد صقر (مصر: دار التأليف - ١٣٦٩هـ) ص(١٧٤).
(٤) جواهر المعاني على برادة (دار الجيل - بيروت) (١١٤/١).

اجتماعهم للسماع، بل إن البعض منهم قد يمارس بعض السلوكيات المشينة والشاذة مع هؤلاء المرد، بحجة النظر والاعتبار لزيادة الإيمان، هذا ما يتضح في الرواية التالية:

فقد ذكر الشعراني في طبقاته في ترجمة علي أبوخوذة: « أنه إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس »[١].

وكان علي الحريري أكثر المتصوفة تهتكًا في معاشرة الأحداث « فكان من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الجند والأمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه، ويميل إليه، ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلازمه ويقيم عنده، اعتقادًا فيه وميلاً إليه »[٢].

وقد أباح محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني، للصوفية النظر إلى وجوه المرد وذلك بتصنيفه رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد[٣].

والشعراني يؤكد هذا السلوك عند الصوفيه، عندما أورد خبر الصالح محمد بن عراقي، الذي كان لا يمكِّن ابنه عليًا من الخروج إلى السوق، حين كان أمرد، إلا أن يُبَرقع خوفًا عليه من السوء والفتنة[٤].

ما سبق هو المفهوم السلوكي للسماع عند الصوفية وآثاره عليهم، ومنزلته عندهم، وذلك من واقع أقوال مشايخهم، التي ساقها أئمتهم ومصنفوهم.

وبعد هذا العرض لهذه الدعاوى الصوفية، نسوق كلام علماء الأمة حولها؛ لنقف على موقفهم من هذه الممارسات والسلوكيات، ليتبين الحق من الباطل.

- السماع في منظور العلماء

سبق وأن أشرتُ إلى أن دعاوى الصوفية بمجملها، لم تكن محصورة في قرن دون آخر؛ بل أنها وجدت مع التصوف والصوفية، منذ تاريخ نشأته، وسارت عبر عصوره، شأنها شأن كل بدعة، تبدأ صغيرة، ثم لا تلبث أن تكبر مع مرور الزمن.

لقد أنكر العلماء في كافة القرون، منذ ظهرت الصوفية وحتى اليوم على المتصوفة بدعهم ومخالفاتهم للعقيدة والشريعة والمنهج والسلوك، وبينوا ما يترتب عليها من مخالفات شرعية، وفندوا ما أحدثوه من بدع منكرة في هذا الشأن، ومن خلال ذلك أصلوا حكم الإسلام في السماع، وما يصحبه من آفات ومخالفات، تجسدت بإفرازاته، ومتولداته التي أشرت لها.

لا شك ولا ريب أن هذه الدعوى والممارسات السلوكية، بمجملها من البدع الظاهرة لدى المتصوفة، والتي لم يزل علماء الأمة، في كل قرن، وحتى اليوم، يُفندونها بدعة، بدعة، ويردونها، بل ينكرون على من يعتقد بها، ويمارسها، سندهم في ذلك، قال الله وقال رسوله ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى (١٣٥/٢).

(٢) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي/ لأبي الفضل جعفر الأدفوي، تحقيق وتعليق: د/ محمد صالحنة، ط١ (الكويت - دار المعرفة - ١٤٠٨هـ) ص(١٥-١٦).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (١٢٩/٢)، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي، بيروت، دار الكتب العلمية ص(٢٦٦).

(٤) انظر: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبدالوهاب الشعراني، (القاهرة، ١٩٦٥م) (٢٥٧/٢)

وقبل أن نقف على تلك الجهود، التي كُرّست، لتفنيد هذه البدع الظاهرة، وإنكارها والرد على أصحابها، يلزمنا معرفة الحكم الشرعي إزاءها ابتداءً.

- حكم السماع الصوفي:

بذل علماءُ الأمة، جهدهم وأفنوا أعمارهم، بالرد على المبتدعات والمحدثات في الدين، وما أن أطلّت بدعة السماع عند الصوفية برأسها؛ إلا وتصدى لها هؤلاء العلماء الأجلاء في كل عصر ومصر، بتفنيدها والإنكار على أصحابها أشد الإنكار، وكان لأسلوب الرد، بالتأليف النصيب الأوفى، فكثرت المؤلفات في مسألة السماع؛ لاسيما التي تنكرها، وتعتبرها بدعة من أشهر البدع عند الصوفية.

وهذه بعضًا منها مطبوعًا:

١- الرد على من يحب السماع للقاضي طاهر الطبري (ت٤٥٠هـ).

٢- كتاب رسالة في تحريم الجبن الرومي وتحريم الغناء والسماع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ).

٣- فتاوى في ذم الشبابة والرقص والسماع، لموفق الدين أبي محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ).

٤- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي (ت٦٥٦هـ).

٥- حكم السماع لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).

٦- فتاوى في الغناء، لأبي العباس أحمد المعروف بابن قاضي الجبل (ت٧٥١هـ).

٧- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب (ت٧٩٥هـ) [(١)].

٨- الرهص والوقص لمستحل الرقص، لإبراهيم الحلبي (ت ٩٥٤هـ) تحقيق: الدكتور صالح السدلان.

٩- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، لابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ).

هذا وقد دلَّ الكتاب والسنة على تحريم الغناء.

فمن الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [لقمان: ٦].

قال ابن مسعود، وابن عبّاس، ومجاهد، وعكرمة: لهو الحديث هو الغناء، ذكر ذلك البغوي وقال: معنى قوله: ﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عبّاس: هو الغناء[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد: بصوتك: بالغناء والمزامير[(٤)].

وأمّا السنة الشريفة:

---

(١) لمزيد الاطلاع على المؤلفات في مسألة السماع: انظر: مقدمة كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي، تحقيق: د. عبدالله الطريقي.

(٢) انظر: تفسير البغوي، تخريج وتحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط٢، الرياض، دار طيبة، ٢٨٦/٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٤٢١/٧.

(٤) انظر: تفسير البغوي ١٠٥/٥.

فقد وردت أحاديث كثيرة تنصّ على تحريم الغناء، منها: قول النبي ﷺ: « **ليكونن من أمتي أقوام يستحلّون الحر، والحرير، والخمر والمعازف...** »[١].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « **في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله! ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور** »[٢].

وقد أورد ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله بعض أقوال الأئمة في حكم هذا السماع ومنها:

١- قول الإمام احمد: (التغبير[٣] محدث)، وقوله وقد سئل عنه (هو بدعة).

٢- قول الإمام الشافعي: (تركت بالعراق شيئا يقال له التغبير. أحدثته الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن).

٣- قول يزيد بن هارون: (ما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟).

٤- قول عبد الله بن داود: (أرى أن يضرب صاحب التغبير)[٤].

ثم بيّن ابن قدامة أن هذا التغبير هو السماع، وهو منهي عنه، فقال: « والتغبير اسم لهذا السماع، وقد كرهه الأئمة كما ترى، ولم ينضم إليه هذه المكروهات من الدفوف[٥] والشبابات[٦]، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه دينا؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقيل المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق، وقال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[٧].

وقال ابن قدامه رحمه الله: « من اتخذ الغناء صناعة، يؤتى له ويأتي له، أو اتخذ غلاما أو جارية مغنيين، يجمع عليهما الناس، فلا شهادة له لأن هذا عند من لم يحرّمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرّمه، فهو مع سفهه عاصٍ مصرّ، متظاهر بفسوقه، ... ومن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاه المغنون للسماع متظاهرا بذلك، وكثر منه، ردّت

(١) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٢٤٣/٦.

(٢) سنن الترمذي، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبدالرحمن عثمان، نشر محمد الكتبي، كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة، ٣٣٦/٣، والحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الترمذي هذا حديث غريب.

(٣) التغبير: الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، وترديد الصوت بالقراءة والطرب عند سماع الذكر أو بعض الأشعار، والضرب بالقضيب، ونحو ذلك، ويطلق عليه التغيير لأنهم يغيرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر. وسمّوا مغيرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.
(انظر: تلبيس إبليس ص ٢٣٠، والاستقامة لابن تيمية، تحقيق د.رشاد سالم، ط٢، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ ٢٣٨/١).

(٤) انظر: ذم ما عليه مدعوا التصوّف لموفق الدين عبدالله بن قدامه =

= المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي - ١٤٠٤هـ) ص ٧.

(٥) الدّف: ألة طرب ينقر عليها، وجمعه دفوف. (انظر: المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بمصر، استانبول، دار الدعوة، ١٣٨٠هـ، ٢٨٩/١).

(٦) الشبابة: مزمار من القصب، مولّدة. (انظر: الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله البستاني (بيروت: مكتبة لبنان - ١٩٩٠م) ص ٣٠٣ بدون رقم الطبعة).

(٧) ذمّ ما عليه مدّعوا التصوّف، موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ ص ٨.

شهادته في قولهم جميعا، لأنه سفه ودناءة »[١].

وقد أنكر محمد بن سيرين (ت١١٠هـ) رحمه الله هذا السماع فقد ذكر عنده: « الذين يصرعون إذا قرئ القرآن، فقال بيننا وبينهم أن يقف أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق[٢].

وقال عبدالله بن المبارك[٣]: « لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئًا »[٤].

وهذا ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يذكر أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في كراهيته[٥]، وبيّن رحمه الله أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى، والقيام لخدمته.

(١) المغني، لابن قدامة، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ، ١٧٧/٩-١٧٨.

(٢) كشف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، أحمد الهيثمي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ص(٨٢).

(٣) عبدالله بن المبارك: هو الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته أبوعبدالرحمن الحنظلي، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفي في رمضان سنة (١٨١هـ). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ (٣٨٠/٨).

(٤) شرح السنة لأبي محمد الحسن البربهاري، تحقيق: خالد الروادي، ط٢، (الرياض - دار السلف - ١٤١٨هـ ص(١١٦).

(٥) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٢٨-٢٣٠، وانظر آراء الأئمة الأربعة أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ٢٢٦/١-٢٢٩.

الثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسّية، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل، فلذلك يحثّ على الزنا، فبين الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء لذّة الروح والزنى أكبر لذات النفس"[٦].

وقد حرّر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله موقف السلف من أهل السنة والجماعة من دعوى السماع عندما سئل رحمه الله عنه، موضحًا السماع المشروع من السماع المبتدع قائلاً: « السماع الذي أمر الله به رسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين،وسماع المؤمنين. قال–ﷻ– ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ

(٦) ن. م ص ٢٢٢.

يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢-٤].

إلى أن قال –رحمه الله–: « وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال –رحمه الله–: « وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب، ودموع العين، واقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذي أثنى عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والإغماء، أو الموت والهيام، فأنكر بعض السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظورًا كان صاحبه فيما تولّد عنه معذورًا لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذمَّ الله الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال –ﷻ–: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦]. ولو أثَّر فيهم آثارًا محمودة لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا محمودين أيضًا ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حيث قال « **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[1]، وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ.

وقال الشافعي رحمه الله: « خلفت ببغداد شيئًا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ».

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: « هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله ».

فبيَّن أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (١٨٩/٤).

ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن ادهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي، ولا السري السقطي، ولا أبوسليمان الداراني، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي، والشيخ أبي البيان، ولا الشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ ».

إلى أن قال –رحمه الله–: « وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئًا يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدَّث به ولا شيئًا يبعد عن النار إلا وقد حدَّث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه »[١].

- العلماء ودعوى أن السماع قربة إلى الله:

عندما اعتقد الصوفية، أن السماع، وما يترتب عليه من آثار، إنما يفعلونه، قربة إلى الله، زاعمين أنه من الدين.

واجه هذا الاعتقاد، ردًا، وإنكارًا، وتحذيرًا من علماء الأمة، سندهم في ذلك الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.

فقد شدّد الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله، إنكاره على الصوفية في هذه الدعوى، وكان ذلك عندما ورد عليه سؤال جاء فيه: « ما تقول السادة الفقهاء... فيمن يسمع الدف والشبابة، والغناء ويتواجد حتى أنه يرقص... مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله؟.

فكان مما أجاب به قوله: « إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته... ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأمّا اعتقاده محبة الله –ﷻ–، فإنه يمكن أن يكون محبًا لله سبحانه مطيعًا له في غير هذا... وأمّا هذا فمعصية ولعب، ذمّه الله تعالى ورسوله ﷺ، وكرهه أهل العلم وسمّوه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرّب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه. ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد والإبعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب دينًا، كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله –ﷻ–من غير طريق رسول الله ﷺ وسنّته، فهو بعيد من الوصول إلى المراد »[٢].

وجاء في كلامه رحمه الله تعالى: « ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقًا على أمته، حريصًا على هداهم رحيمًا بهم، فما ترك طريقًا تهدى على الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله قوله، وكان أصحابه من الحرص على الخير والطاعة

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٨٧/١١-٥٩٥).

(٢) ن. م ص(٦).

والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير، إلا تسابقوا إليها. فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليله في سماع يتقرّب به إلى الله سبحانه ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب، ولا استمع الشبابة، فأصغى إليها وحسّنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجرًا، وهذا أمر لا يمكن مكابرته، وإذا هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقًا موصلاً إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور »[(١)].

وقال رحمه الله منكرًا على الصوفية في ذلك: « فأمّا من يجعله -أي ضرب الدف ونحوه- دينًا، ويجعل استماعه، واستماع الغناء قربة وطريقًا إلى الله سبحانه، فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته، وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرّمات أو غلام جميل يسلبه دينه، ويفتن قلبه، ويخالف ربه في قوله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، فكان دليلاً على تسامحه في المخالفة لقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، ولم يكن ذلك أزكى لهم، ومن ابتلي بمخالفة أوّل الآية، فليبادر إلى العمل بآخرها: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١][(٢)].

(١) ن. م ص(٩-١٠).
(٢) ذمّ ما عليه مدّعو التصوّف ص(١٤-١٥).

وقال رحمه الله وهو يرد على ابن الحنبلي إباحته سماع الشبابة، مبيّنًا أن هذا من فعل المبتدعة: « ومن العجب، استدلال الفقيه على إباحة الشبابة. بأنه قد سمعها من الصوفية، وما من قبيحة من القبائح، ولا بدعة من البدع، إلا قد سمعها مشايخ وشباب أيضًا،

وقد علم الناصح -أي ابن حنبلي- أنواع الأدلة، فهل وجد منها فعل المشايخ من الصوفية؟، وإن كان هذا دليلاً؛ فليضمّه إلى أدلة الشرع المذكورة، ليكون دليلاً آخر يقرب به على من قبله، ويكون هذا الدليل منسوبًا إليه، معروفًا به، ولكن لا ينسبه إلى مذهب أحمد، فإن أحمد وغيره من الأئمة بريئون من هذا »[(٣)].

وكان الحافظ عبدالغني المقدسي (ت٦٠٠هـ) قويًا في أمر الله، وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات[(٤)].

وأبطل أبوبكر الطرطوشي (ت٥٢٥هـ) دعوى الصوفية بأن هذا السماع قربة إلى الله قائلاً: « وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب منها، ثم كبر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا، ثم ازداد الأمر إدبارًا حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين -وفقنا الله وإياهم-

(٣) الذيل طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ (١٥٩/٤).
(٤) انظر: ن.م (١٢/٤-١٣).

استنزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى، وجاهرت به جماعة من المسلمين »[١].

وأنكر ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله على الصوفية زعمهم أن السماع قربة لله قائلاً: «... إن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم، وإنما يستتر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه عن نيل لذته، فهذا المتشبه بهم مخادع مُلبِّس وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد.. ».ثم بين رحمه الله حال الصادقين في دعواهم الذي لُبِّس عليهم فتقربوا إلى الله بما لم يشرعه الله واتخذوا دينًا لم يأذن الله فيه فلهم نصيب ممن قال الله فيه: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى: ٢١].

فإنه إنما يتقرب إلى الله بما يشرع التقرب به إليه على لسان رسوله، فأما ما نهى عنه فالتقرب به إليه مضادة لله في أمره »[٢].

(١) المدخل لابن الحاج (١٠٠/٣).
(٢) نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ ص(٨٠-٨١).

وقال رحمه الله أيضًا في هذا السياق: « فلا ريب أن التقرب إلى الله بسماع الغناء الملحن لاسيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما نتقرب به إلى الله، ولا مما تزكَّى به النفوس وتطهر من أدناسها وأوصارها، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل في ملة من الملل أشياء من ذلك، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة كما يأمرون بعشق الصور، وذلك كله مما تحيى به النفوس الأمّارة بالسوء لما لها من الحظ ويقوى به الهوى وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب، وتبعد به عنه »[٣].

وقال ابن كثير (ت٧٤٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦] [٤].

إن لهو الحديث هو: الغناء، وذكر أن المعازف واللعب واتباع الشهوات، وكل ما يصد عن ذكر الله، هي ما كانت تتلو الشياطين[٥].

وقال رحمه الله في وصفه سماع الصوفية؛ بأنه سماع شيطاني، فقال ترجمة الشيخ أبو الرجال المنيني "الشيخ الزاهد العابد.. كانت له أحوال ومكاشفات.. وكانت له زاوية ببلده، وكان بريئًا من

(٣) نزهة الأسماع، ص(٨٢).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط٩، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ(٤٥٠/٣-٤٥١).
(٥) نفس المرجع (١٣٩/١).

هذه السماعات الشيطانية"[١] .

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على هؤلاء المبتدعة: «... كثير من الأشعار التي يسمعها أهل السماع -الصوفية-، قد يتضمن من الكذب على الله، والتكذيب بالحق: أنواعًا »[٢].

وأضاف: وصار من هؤلاء من يُنشد أشعار الفساق، والفجار، والكفار، بل وينشدون ما لا يستجيزه أكثر أهل التكذيب، وإنما يقوله: أعظم الناس كفرًا برب العالمين، وأشدهم بُعدًا عن الله ورسوله، والمؤمنين وزادوا على ذلك في أنواع الآلات، ما زادوا به الفتنة، حتى ربا فيها الصغير، وهرم فيها الكبير، حتى اتخذوا ذلك دينًا وعادة، وجعلوا من الوظائف الراتبة، بالغداة، والعشي، كصلاة الفجر، والعصر، وفي الأوقات، والأماكن، الفاضلات، واعتاضوا به عن القرآن، والصلوات[٣].

وقال القاضي أبوالطيب طاهر الطبري (ت٤٥٠هـ) رحمه الله: « اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع علماء المسلمين، فإنه ليس فيهم من جعله دينًا وطاعة ولا روى إعلانه في الجوامع والمساجد، وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، فكان مذهب هذه الطائفة مخالفًا لما اجتمعت العلماء عليه ونعوذ بالله من سوء التوفيق[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على الصوفية: « وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف، والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينًا وقربة وطريقًا إلى الله، فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد ﷺ، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أهل الدين ولم يفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد الصحابة ولا تابعيهم بإحسان ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن، ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة، ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك: « خلفت ببغداد شيء أحدثته الزنادقة »[٥].

كما أنكر الطرطوشي على الصوفية رقصهم وتواجدهم، وعدّ ذلك من البطالة والجهل والضلال، وقال أنه دين الكفّار وعبَّاد العجل، قال ذلك ردًا على سؤال وجه له، جاء فيه: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأعلم... أنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم بالرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئا يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين يرحمك الله، وهذا القول

---

(١) البداية والنهاية، ٣٩٠/١٣-٣٩١.

(٢) الاستقامة لابن تيمية (٢٢٥/١).

(٣) انظر: الاستقامة (٣٠٦/١-٣٠٨).

(٤) الرد على من يحب السماع/ القاضي طاهر الطبري، دراسة وتحقيق: مجدي السيد ط١ (طنطا - دار الصحابة للتراث - ١٤١٠هـ) ص(٣٢).

(٥) انظر: السماع والرقص لابن تيمية مكتبة السنة المحمدية، ص(٤٧).

الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزل

وفي مثل هذا ونحوه.

فأجاب رحمه الله: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسولهﷺ وأما الرقص والتواجد فأوّل ما أحدثه أصحاب السامريّ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون؛ فهو دين الكفّار وعبّاد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها؛ ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم؛ هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق »[١].

وأنكر أبوالعباس القرطبي (ت٦٥٦هـ) على الصوفية رقصهم، وعدَّه من المبتدعات في الدين يقول: « لا يخفى على من له من العقل أدنى مسكه، إذا تأمل بأدنى فكره: إن الرقص بالحركات الموزونات على ألحان الغناء والقينات وتقطيع المزامير والطارات من أفعال أهل المجون والباطلات، وإن ذلك لا يليق بالعقلاء ولا يناسب أحوال الفضلاء، ولذلك قال الجنيد: « الرقص نقص » وقال الغزالي: « الرقص حماقة، ....، وذلك أن العقلاء بما هم كذلك ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام ومشاكلة الصبيان والنسوان وعن الاتسام بسمة المخانيث أهل الفسوق والعصيان ».

حتى قال: « ومن الذي يرضى لنفسه بذلك أو يدخل في شيء مما هنالك: كلا والله لا يرضى بذلك عاقل، ولا يتعاطاه فاضل، ثم أي فائدة تحصل فيه في الدنيا، أو أي ثواب يترتب عليه في الأخرى، وإذا عرى عن ذلك تحقق أنه عبث وهوى ».

إلى قوله: «... ولذلك لم ينقل من نبي من الأنبياء، ولا ولي من الأولياء، ولا عالم من متقدمي العلماء القول بإباحة الرقص على المزامير والأوتار، وهز المناكب والأرداف كلما صلصل الدف والطارة ومن ادعى نقل شيء من ذلك عن من يوثق بعلمه ويرجع إلى فتواه وفهمه طالبناه بتصحيح نقله وإثبات قوله»[٢].

وقد سُئِلَ تقي الدين السبكي (ت٧٥٦هـ) عن الرقص والدف وعن حضور السماعات، فأجاب عنه بقوله:

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (٢٣٧/١١-٢٣٨)، المعيار المعرّب، أحمد الونشريسي، إشراف د.محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ (١٦٢/١١-١٦٣).

(٢) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د.عبدالله الطريقي، ط١، ١٤١١هـ ص(١٤٣-١٤٤).

واعلم بأن الرقص والدف الذي	سألت عنه وقلت في أصوات
فيه خلاف للأئمة قبلنا	شرح الهداية سادة السادات
لكنه لم يأت قط شريعة	طلبته أو جعلته في القربات
والقائلون بحله قالوا به	كسواه من أحوالنا العادات
فمن اصطفاه لدينه متعبدًا	لحضوره فأعدوه في الحرات
والعارف المشتاق وإن هو هزه	وجد فقام يهم في سكرات
لا لوم يلحقه ويحمد حاله	بأطيب ما يلقى من اللذات[١]

وعدَّ الآجري (ت٣٦٠هـ): الذي يحضر الأفراح التي توجد فيها أنواع اللهو مثل: الطبلة، والمزمار، والمعازف، والعود، والطنبور، والمغني، والمغنيات، فقد عصى الله -ﷻ- وآذى بذلك الفعل المؤمنين فيكثر الدعاء عليه تقبيح ما أظهر مما نهى عنه[٢].

وقال الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ) في الذين يستمعون الغناء وآلات اللهو ويرقصون على أنغامها من الصوفية: « فلو رأيت عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوات، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط حماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَّيا الكؤوس، فلغير الله، بل للشيطان، قلوب تمزق وأثواب تشقق وأموال في غير طاعة الله تنفق، ... ويا شماتة أعداء الإسلام بالدين، يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطربًا، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن »[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض رده وإنكاره على هؤلاء الصوفية أهل السماع: « لو كان سماعك بالله، وعن الله، كما تقول: لدلت على صدقك شواهد ذلك: من سماع كلامه وأسمائه، وصفاته، ومواعظه، ... وما يدعو إلى صحبته، ويباعد عن سخطه، ولم يكن سماعك، لشيء لا يشاربه إلى الخالق، وإنما يشار به إلى الخمر، والمسكر، والمليحة، والمليح وطيب وصالهما، وعذوبته، وتوابع ذلك. فتعالى الله، وتنزه جنابه، وجَلَّت عظمته، أن يشار إليه بذلك، أو يستجلب رضاه، وقربه.

كلا والله، إن استجلب بذلك، إلا مقته، والبعد منه. وكيف يجوز أن توجد الإشارات إلى الله سبحانه، والتغزل في النساء والمردان، وأين هذا مما يجب له -سبحانه- من الهيبة، والتعظيم، والوقار، والإجلال لعظمته، وخشيته، والخوف منه؟ وقد آل بهم هذا إلى أن أطلقوا في حقه -سبحانه- ما يطلقه هؤلاء العشاق في معشوقيهم، من الصد، والهجر، والوصال، وتوابع ذلك، ونشأت من ذلك الشطحات، والطامات، والرعونات التي هي ضد طريق العبودية »[٤].

وأمّا احتجاج الصوفية بقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لأبي العباس أحمد بن حجر الهيثمي، تحقيق محمد عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ص(٨٣).

(٢) انظر كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد إسماعيل ط١ (بدون: دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ) ص(٤٤٥).

(٣) إغاثة اللهفان (٢٢٤/١).

(٤) الكلام على مسألة السماع، لابن القيم، تحقيق محمد عزيز شمس، راجعه محمد أجمل الإصلاحي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، ط١، ١٤٣٢هـ، ص(١٧١).

﴿ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ١٩١] على بدعهم وغنائهم وتمايلهم، فهو في الحقيقة؛ بعيد جدا ومردود لأسباب منها:

أن الآية الكريمة بيّنت أنهم « يتفكرون » والصوفية يعترفون بأنهم « يغيبون » ويحصل لهم ما يشبه السكر والغيبة.

أن الآية الكريمة ذكرت أنهم يذكرون الله على جنوبهم أيضا، والصوفية إنما يتمايلون قياما وقعودا.

أن السلف الصالح كانوا يعملون بما في القرآن، ولم يكن عملهم بهذه الآية على النحو الذي يفعله الصوفية، ولا فعله رسول الله ﷺ، ففي الآية دليل على أن الذاكرين يذكرون الله على كل أحيانهم، كما كان حال النبي ﷺ، فإنه كان يذكر الله على كل أحيانه: قائما وقاعدا، وعلى جنبيه.

أيضًا كان الصحابة –رضوان الله عليهم– عند سماعهم القرآن، كأن على رؤوسهم الطير من الخشية، وما كانوا يزيدون على البكاء والخشوع. ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب »[١].

قال أبوبكر الآجري: « ولم يقلْ: صرخنا، ولا ضربنا صدورنا، كما يفعل كثير من الجهَّال الذين يتلاعب بهم الشيطان »[٢].

ولما تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]، مستدلين بذلك على رقصهم وتمزيقهم الثياب.

حرّم ذلك الفعل القرطبي (ت٦٧١هـ) في الجامع لأحكام القرآن بقوله: « وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء.

أين هذا، من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام!! وخاصة في هذه الأزمان، عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان! هيهات! بينهما –والله– ما بين الأرض والسماء. ثم هذا حرام عند جماعة العلماء »[٣].

وقال الشاطبي (ت٧٩٠هـ) رحمه الله عن هذا التعلق الصوفي بهذه الآية: « أين فيه أنهم قاموا يرقصوا، أو يزفنون، أو يدورون على أقدامهم » لكن هؤلاء الفقراء ليس لهم من التواجد إلا تهيج الطباع إلى ما يناسبها، وهي الحركات على اختلافها، وهذا هو المذموم؛ فهم إذا متواجدون بالنغم والألحان لا يدركون من معاني الحكمة شيئًا، فقد باؤوا إذًا بأخسر الصفقتين نعوذ بالله[٤].

وقد ردّ ابن قدامة رحمه الله تعالى على بعض شبه المجيزين للغناء –ومنهم الصوفية– في رسالته إلى

---

(١) مسند الإمام أحمد، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ (١٢٦/٤).
(٢) تلبيس إبليس ص(٢٥٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٦/١٠).
(٤) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٧هـ) (٢١٥/١).

ابـن الحنبلـي التـي أنكـر فيهـا إباحتـه لـبعض أنـواع الغناء ومنها احتجاجه بحديث الجاريتين الذي احتج به الصوفية قائلا:

« وأمّا استدلالهم بحديث الجواري اللاتـي ندبن آباءهن، فما منه ذكر الغناء، فإن كان النبي ﷺ أرخص لهن في ذلك، فليس منه ما يوجب المدح في حق عقلاء الرجال المتوسمين بالدين والعبادة، .. ولم يكن النبي ﷺ ولا غيره ينكرون على الصبيان لعبهم، ولا فعالهم التي تستقبح من غيرهم، مثل المصـافحة، والمفاقسـة[١]، بـالبيض الأحمـر، والعدو فـي الطرقات، وحمل بعضهم بعضـا، وأشياء لـو فعلها المميز البالغ لردّت شهادته، وسقطت عدالته »[٢].

ثم ذكر ابن قدامة أن احتجاجهم لسماع النبي ﷺ لذلك لا يـدل علـى أن الرسـول ﷺ قصـد سـماع الجـاريتين، فهناك فرق بين السماع والاستماع، فالسماع يكون من غير قصد، بخلاف الاستماع الذي يقصد صاحبه أن يسمع الكلام، وبيّن ابن قدامة أن فعل الرسول ﷺ كان السـماع، لا الاسـتماع، قـال مبيّنـا هـذا: « فـإن قـالوا: نحن إنما نحتج بسماع النبي ﷺ من الجويريات، فنحن نسمعه كما سمعهن، قلنا: أخطأتم في النظر، وجهلتم الفرق بـين فعـل النبـي ﷺ وفعلكـم، فـإن المنقـول عـن النبي ﷺ السماع له، وأنتم تفعلون الاستماع، والسماع غير الاستماع »[٣].

ومما يعضد ذلك أن النبـي ﷺ عندما سمع الجاريتين اضـطجع علـى فراشـه، وحوّل وجهه عنهما، فلو كـان ﷺ يقصد الاستماع لما فعل ذلك.

ثم يرد عليهم احتجاجهم بهذا الحديث؛ بإنكار أبـي بكـر ﷺ ذلـك وتسـميته إيـاه « مزمـار الشـيطان » ولـم ينكـر عليــه النبــي ﷺ هــذه التســمية، فكيــف يكــون مزمــار الشيطان قربة وطاعة إلى الله ؟!.

ثم إن الجويريتين صـغيرتان، دون البلوغ، غير مكلفتين، كانتـا تغنيـان بشـعر مـن أشـعار العرب فـي بيت عائشـة رضـي الله عنها، وهي صغيرة وسماع الصوفية وأشعارهم بخـلاف هـذا، فكيـف يقـاس فعـل الجـاريتين بمـا تفعلـه الصوفية في حلقات السماع من الرقص؟!.

قال ابن تيمية: فهذا قياس فاسد وتشبيه للشيء بما ليس مثله[٤].

كـذلك رد طـاهر الطبـري احتجـاجهم بـحديث عائشـة قائلاً: « إن هذه حجة لنا، فإن أبا بكر –ﷺ– سمى ذلـك مزمـار الشيطان، ولـم ينكـر النبـي ﷺ علـى أبـي بكـر فـي قولـه، وإنمـا منعـه النبـي ﷺ مـن التغليظ فـي الإنكار، والتسرير للصبايا الذي هو يوم السرور.

ألا تـرى إلـى مـا روي فـي هـذا الحـديث أن أبـا بكـر –ﷺ– غمزهما فخرجتا، وقد كانت عائشة –رضـي الله عنهـا– طفلـة فـي ذلـك الوقت، ولـم ينقـل عنهـا بعـد بلوغها، وتحصيلها إلا ذم الغناء، والمعازف.

وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد، وهو أحد فقهاء المدينـة السـبعة يـذم الغنـاء، ومنـع مـن سـماعه، وقـد

(١) المفاقسة بالبيض، مأخوذ من فَقَس البيضـة يَفْقسها إذا فضـخها. انظر: لسان العرب (٣٠٣/١٠).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١٥٨/٤.
(٣) ن. م (١٥٨/٤).

(٤) انظر: الاستقامة لابن تيمية (٢٨٦/١).

أخذ العلم عنها، وتأدب بها، فبطل ما قاله هذا القائل» [١].

وعدّ الطرطوشي رحمه الله ما يفعله المتصوفة عند السماع من الرقص والطرب وتمزيق الثياب من السخافة وانعدام المروءة والوقار قائلا: « وأما الرقص والدقّ [٢]، وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خفاء على ذي لب أنه سخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون »[٣].

وقد ردَّ أبوالعباس القرطبي على الصوفية استدلالهم بحديث أنس –رضي الله عنه– لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي.... فقال إن الحديث لا يصح لإن محمد بن طاهر المقدسي، لا يحتج بحديثه؛ لأنه قد تُكُلِّم فيه ونسب إلى مذهب الإباضية وعنده مناكير في كتابه المسيء « صفة أهل التصوف »، وهذا الحديث منها:

وقال: « إن الواقف على متن هذا الحديث يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب، ولا يليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم وإنما يليق بمخنثي شعر المولدين »[٤].

وقال في موضع آخر: « إن هذا الحديث مما لا يوجد مسندًا ولا أخرجه في كتابه أحد من أئمة المحدثين، وإنما هي أحاديث مروجة وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون المخرفة يرمون بذلك نسبة اللهو والمجون إلى الأنبياء الفضلاء »[٥].

قال أحمد الأذرعي (ت ٧٨٣هـ): « وأطال القرطبي في ردِّ هذا الحديث الباطل المختلق، وما قاله حق لا ينازع فيه أحد من أهل المعرفة بالحديث، ولا شك فيه، فالله حسيب مفتريه »[٦].

وقال ابن القيم رحمه الله عن حديث تواجد رسول الله ﷺ: « ومن ذلك حديث: حضر رسول الله ﷺ سماعًا، ورقص حتى شق قميصه، فلعن الله واضعه، ما أجرأه على الكذب السمج »[٧].

وقال رحمه الله في موضع آخر عن هذا الحديث: «... وركاكة شعره، وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة، من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد، السمج، فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ... »[٨].

أيضًا قال الشاطبي (ت٧٩٠هـ) رحمه الله عن حديث التواجد: « فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوبة فيها على رسول الله ﷺ التي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها

(١) الرد على من يحب السماع ص(٥٣).
(٢) الدق: الضرب بالشي، وإظهار العيوب والعورات. انظر: المعجم الوسيط ١/(٢٩١).
(٣) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبدالمجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م ص (٢٦٣).
(٤) كشف القناع ص(١٦١).
(٥) كشف القناع ص(١٠١-١٠٢).
(٦) كف الرعاع ص(٧٠).
(٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه منصور السماري، ط٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـص(١٠٦).
(٨) الكلام على مسألة السماع لابن القيم، تحقيق ودراسة: راشد الحمد (دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ) ص(٣٢٣).

كحديث... أن النبي ﷺ تواجد واهتز عند السماع، حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما أشبه ذلك، فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- جاهل ومخطئ في نقل العلم الشرعي، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به، في طريق العلم، ولا طريق السلوك »[١].

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري في معرض إنكاره للسماع الصوفي، قول القرطبي: « وأما ما ابتدعته الصوفية في ذلك -السماع-، فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير فيهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وإن ذلك يثمر سني الأحوال. وهذا على التحقيق: من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة، والله المستعان »[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث: « ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط، ومن قال أن النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته. والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في « مسألة السماع » وفي « صفوة الصفوة » ورواه من طريقه أبوحفص عمر السهروردي صاحب « عوارف المعارف »، أن النبي ﷺ: أنشده أعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدي.... الأبيات

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال له معاوية: « ما أحسن لهوكم، فقال له مهلاً يا معاوية، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب ».

فهذا حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن »[٣].

وقال محمد بن موسى الدَّمِيري (ت سنة ٨٠٨هـ): « من نسب السماع إلى رسول الله ﷺ يؤدب أدبًا شديدًا، ويعزَّر تعزيرًا بليغًا، ويدخل في زمرة الكاذبين عليه ﷺ »[٤].

وعدّ أحمد الأذرعي هؤلاء المتفقرة ومن حذا حذوهم من المتفقهه -ويقصد في ذلك المتصوفة-؛ من المتوهمين، المغرمين بالرقص، وما يقومون به خطأ صريح، وجهل قبيح[٥].

ولقد شبّه الطرطوشي الصوفية ببني إسرائيل، عندما اتخذوا عجلا آلهة للعبادة دون الله، وقيامهم بالرقص والتواجد لَه، وذمّهم على هذا الفعل بقوله: « فانظروا - رحمكم الله!- كيف يجوز على نبي من أنبياء الله أن يتخذ عجلا للعبادة من دون الله تعالى ثم يرقص هو وهم

(١) الاعتصام للشاطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ (١٨٢/١).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط١، القاهرة، دار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ (٣٦٨/٢).

(٣) فتاوى ابن تيمية (٥٦٢/١١، ٥٦٣).
(٤) الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي صححه وعلق عليه حسن السويدان، وقدم له عبدالقادر الأرناؤوط ط١ (دمشق - دار البشائر، ١٤٢٣هـ) ص(٤٨).
(٥) انظر: كف الرعاع ص(٧٤).

تعظيما للعجل على أنه إلاههم!، فما أشبه عقول قوم قد جعلوا الرقص عبادة لله تعالى بعقول بني إسرائيل في تجويزهم على نبي الله تعالى!، أن يتخذ إلها يتعبد له بالرقص والقربى من دون الله ﷻ فمن زعم أن الرقص عبادة لله سبحانه! يرقصون بين يديه ويتواجدون له فإلهه عجل، جسد له خوار »[١].

وهذا أبوالوفاء ابن عقيل (ت٥١٣هـ) رحمه الله، الذي عندما سمع بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعها حداها الحادي إلى الله بالأناشيد، ردّ عليه بقوله: « لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ، لأن الله -ﷻ- قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[٢]، وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت. فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمّن ضيقة المخلوق والمعشوق مما يتعذّر عنه فتنه، ومن سوّلت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون »[٣].

وكفّر ابن عقيل من يعتقد أن الدعاء وقت السماع مجاب بناءً على أنه قربة يتقرّب بها إلى الله تعالى؛ لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرا »[٤].

وردّ ابن الجوزي على الصوفية، عندما زعموا أن السماع مستحب لهم لحياة قلوبهم. قال هذا غلط من خمسة أوجه:

أحدها: أن أبا حامد الغزالي قال بإباحة سماعه لكل أحد. وأبوحامد أعرف من القشيري الذي روى ذلك.

الثاني: أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادّعى تغير الطباع ادّعى المحال. فإذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة.

الثالث: أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى، فمن ادّعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادّعى المحال.

الرابع: أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب، وإنما غايته الإباحة، فادّعاء الاستحباب خروج عن الإجماع.

الخامس: أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحا أو مستحبا عند من لا يغير طبعه؛ لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى »[٥].

كما ردّ ابن الجوزي على افتراء القشيري بجواز السماع الذي أعقبه بالاحتجاج بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾[الغاشية: ١٧]، قائلاً:

هذه الآية لا تدل على الغناء ولا على الرقص ولا على السماع الصوفي، لكن هؤلاء وضعوها في غير مواضعها، وحادوا بها عن سواء السبيل.

(١) ن. م ص (٢٦٩-٢٧٠).
(٢) سورة الأنفال، آية (٢).
(٣) تلبيس إبليس ص ٢٤٦.
(٤) ن. م ص (٢٤٨-٢٤٩).
(٥) انظر: تلبيس إبليس ص (٢٤٨-٢٤٩).

وما أدق عبارة ابن الجوزي حين قال: « والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن »[١].

وشدد ابن بطة (ت٣٨٧هـ) الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً: « سألني سائل عن استماع الغناء، فنهيته عن ذلك، وأعلمته أنه مما أنكره العلماء، واستحسنه السفهاء، وإنما يفعله طائفة سموا بالصوفية، وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة، وشرائع بدعية، يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، يدّعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى الله عما يقولون علوّا كبيراً »[٢].

وعدّ ابن الجوزي تصفيق الصوفية عند السماع خروجا من السمت والاعتدال، قائلا: « والتصفيق منكر... يخرج من الاعتدال، ويتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين، فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية، وهي التي ذمّهم الله ﷻ بها فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣].

فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق... ومنه أيضا تشبّه بالنساء، والعاقل يأنف من أن يخرج من الوقار إلى أفعال الكفّار والنسوة »[٤].

كما عدّ القاضي عياض قسم من الصوفية؛ جهلة، وذلك عندما استحوذ عليهم الشيطان، وغلب عليهم الطغيان والعصيان، فاحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات التي تثيرها الطباع، لا يقتفون بذلك شرعا ولا يجتنبون أمرا بدعا. وعدّهم من ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٥][٦].

كما أنكر القاضي عياض رحمه الله على الصوفية قولهم بجواز السماع، وذكر ذلك في ترجمة مالك رحمه الله: « قال التنيسي: كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين[٧]: عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟.

وقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين هم؟ قال: لا، هم قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء، فقال مالك: ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا! »[٨].

وعندما استفتي الشيخ أبوإلياس محمد بن الحسين البزدوي (ت٤٩٩هـ) في شأن متصوفة زمانه، قال فيهم: « إن الصوفية أنواع وأصناف: فيهم قوم

(١) تلبيس إبليس ص (١٥٩).
(٢) تلبيس إبليس ص (٢٣٧).
(٣) سورة الأنفال، آية (٣٥).

(٤) تلبيس إبليس، ص (٢٥٨).
(٥) سورة الكهف، آية (١٠٤).
(٦) انظر: الموفي بمعرفة التصوّف والصوفي، ص (٧٠-٧١).
(٧) نصيبين: مدينة عامرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر: معجم البلدان (٢٨٨/٥).
(٨) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، ط٢، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٣هـ ٥٤/٢ .

يضربون بالمزامير، ويشربون الخمور ويأتون بعض الفواحش، ويلبسون ثياب الفسقة...، ورضوا بملء بطونهم من الطعام، حلالاً كان أو حرامًا ويسكنون في الخانات ولا يكتسبون؛ بل ينامون في غالب الأزمان، يصلون قليلاً ويأكلون أكلاً لمًّا لمًّا. إن وجدوا فيزفنون -أي يرقصون- إن وجدوا قارئًا فاختاروا الكسل ولا يتعلمون ولا يتزوجون »(١).

وما أحسن إنكار ظهير الدين الموصلي (ت٦١٠هـ) وقد شاهد أفعالهم المنكرة، ونظّم بذلك شعرًا هجا فيه شيخ زاوية الفقراء بالبوازيج البليدة القريبة من السلاَّمية، قال فيه:

ألا قل لهم قول عبد نصوح	وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا	بأن الغناء سنة تتبع؟
وأن يأكل المرء أكل الحمار	ويرقص في الجمع حتى
وقالوا: سكرنا بحب الإله	يقـــــــــــــــع؟
كذلك البهائم إن أشبعت	ومـا أسكر القوم إلا
ويسكره النأي ثم الغناء	القصــــــــــــــع
فيا للعقول ويا للهني	يرقصها ريها والشبع
	ويس لو تليت ما انصدع
	ألا منكر منكم للبدع؟

تهان مساجدنا بالسماع وتكرم عن مثل ذاك البيع(٢)

(١) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، محمد بن صفي الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ط١ (الرياض - دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص(٤٠-٤١).
(٢) البداية والنهاية (٦٦/١٣)، وإغاثة اللهفان (٢٣١/١)، وانظر: وفيات =

وعندما احتجّ جهّال الصوفية على جواز طربهم ورقصهم بقوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[ص: ٤٢]، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلا: « أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأنه يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازا من الرقص؟!.

ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام؛ جاز أن يجعل قوله سبحانه لموسى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، دلالة على ضرب المحادّ بالقضبان!! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع »(٣).

وذمّ ابن عقيل رحمه الله الرقص، واستدل بتركه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧، لقمان: ١٨]، قائلا: « قد نصّ القرآن على النهي عن الرقص فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾، وذمّ المختال والرقص أشد المرح والبطر. أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما.

فما أقبح من ذي لحية، وكيف إذا كان شيبة؟؟

=
الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م (٣٧/٣-٣٨)، والموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص (١٣، ١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ فيما بين هذه المصادر.
(٣) تلبيس إبليس ص (٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٥/١٥).

يـرقص ويصـفق علـى إيقـاع الألحـان والقضـبان وخصوصا إن كانت أصوات النسوان ومردان، وهل يحسـن لمـن بـين يديـه المـوت والسـؤال والحشـر والصـراط، ثـم هـو إلـى إحـدى الـدارين يشـمس[١] بـالرقص، شمس البهائم، ويصفق تصفيق النسوان، والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضـلا عـن الضـحك مـع إدمـان مخـالطي لهم»[٢].

ولما سئل ابن عقيل عن تواجد الصوفية، وتخريقهم ثيـابهم، أنكـر ذلـك أشدّ الإنكـار، وعـدّه مـن الخطـأ والحرام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال. فقال لـه قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. فقال: إن حضـروا هـذه الأمكنـة مـع علمهـم إن الطـرب يغلـب عليهم، فيزل عقولهم، أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع، لأنهم مخـاطبون قبل الحضـور بتجنّـب هذا الموضوع الذي يفضي إلى ذلك، كما هم منهيون عن شرب المسكر، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصـوّف وجدا إن صـدقوا إن فيـه سكر طبـع، وإن كذبوا أفسدوا مع الصحو، فلا سلامة فيه مع الحالين، وتجنّب مواضع الريب واجب »[٣].

وشدد ابن عقيل رحمه الله الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً: « هذه فتنٌ ومحنٌ دخلت على العقول من غلبات الطباع والأهواء، وهل يحكم على العقول حق قط؟ وهل رأيتم فـي السلف أو سمعتم رجـلاً زعـق أو خرق؟ بل سماع صوت وفهم واستجابة، فدلَّ على أن ذلك التخبط ليس من قانون الشرع، لكن أمر بخفض الصوت وغضِّـه، وأما التواجد والحركة والتخريق فالأشبه بداعية الحق الخمود، ثكلت نفسي حين أسمع القرآن ولا أخشع؛ وأسمع كلام الطرقيين فيظهر مني الانزعاج»[٤].

وعزا ابن الجوزي ذلك التواجد المفضي إلى تخريق الثياب والصياح إلى تمكّن الشيطان في عقول هؤلاء الجهلة، فقال: « وهذا التواجد الذي تضمن حركات المتواجدين وقـوة صـياحهم، وتخبطهم، فظـاهره أنـه متعمّل، والشيطان معين عليه. فإن قيل: فهل فـي حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم من وجهين:

أحدهما: أنه لو قوي العلم؛ أمسك.

والثـاني: أنـه قد خولف بـه طريق الصحابة والتـابعين، ويكفي هذا نقصا »[٥].

ويقول أبوالعباس القرطبي وهو يتهكم على الصوفية وجـدهم: « التواجـد: اسـتدعاء الوجـد، لضـربٍ مـن الاختيـار؛ وذلـك أنهـم إذا اجتمعـوا للسـماع، فمـنهم المتكلف حركة ظاهرة، مستجلبًا بذلك حضور باطنه؛ فيميـل يمينًـا، ويتـرنح يمينًـا وشـمالاً، ويحـرك رأسـه ومنكبيـه، ويضـرب صـدره، ويصـفق بيـده، إلـى أن

(١) شمست الدابة شموسا، وشماسا: جمحت ونفرت. انظر المعجم الوسيط ٤٩٣/١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/٧، وتلبيس إبليس ص ٢٦١.
(٤) الآداب الشرعية، لأبي عبدالله محمد بن مفلح، تحقيق شعيب الأرنـؤوط وعمر القيام ط٢ (بيروت-مؤسسة الرسالة-١٤١٧هـ) (٣٠٨/٢).
(٥) تلبيس إبليس ص (٢٥٧).

يستغرقه –بزعمه– الوجد...، وهذه أفعال مليحة، واجتماعات ذميمة، وأحوال صادرة عن اعتقادات سقيمة، فما هي إلا أحوال دحيضة، وعقول مريضة، ودعوى عريضة، وبذلك على ما ذكرناه: أن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان: لم يكونوا على شيء من تلك الأساليب والطرائق، ...ولا نطقوا بتلك العبارات، ولا ارتضوا تلك الإشارات، ولا اجتمعوا لذلك، ولا حوَّموا على شيء عما هنالك، مع أنهم قدوة العارفين، وخيرة الله من العالمين، الفاهمون عن الله، الآخذون عن رسول الله ﷺ الذين اختارهم له، لحمل أمانته، وبيان شريعته، فلو كان الأمر على ما اخترعه أصحاب التواجد، لكان أولئك الملأ، أوّل سابق إليه، وأول واجد، وتناطقوا بتلك العبارات، وأشاروا بتلك الإشارات، ولفشا ذلك في السابقين المتشرعين، كما فشا في المتأخرين المبتدعين، فلما لم يكن شيء من ذلك، علمنا أنه من المحدثات التي هي بدع وضلالات... »[١].

وعندما احتج الصوفية على رميهم الثياب وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾[٢].

ردَّ ابن الجوزي عليهم احتجاجهم قائلاً: « استدل بعض جهّال المتصوّفة بهذه الآية على جواز رمي الثياب إذا اشتد طربهم على المغني. ثم منهم من يرمي بها صحاحا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها. قال هؤلاء في غيبة فلا يلامون، فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسّرها ولم يدر ما صنع ».

قال ابن الجوزي: من يصحح عن موسى –عليه السلام– أنه رماها رمي كاسر؟ والذي ذكر في القرآن ألقاها. فمن أين لنا أنها تكسرت؟ ثم لو قيل: تكسّرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره، ويحذّرون من بئر لو كانت عندهم، ثم كيف تقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء »[٣].

وردّ ابن الجوزي على الصوفية احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣﴾[٤]. على جواز الوجد والرقص وتمزيق الثياب بقصة مكذوبة على سلمان الفارسي على أنه عندما سمعها صاح صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيّام[٥].

فردَّ ذلك الاحتجاج من وجوه:

الأول: أن هذا محال وكذب.

الثاني: ليس لذلك إسناد.

الثالث: الآية نزلت بمكة وسلمان أسلم بالمدينة.

الرابع: لم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا

---

(١) كشف القناع ص(١٥٣-١٥٤).
(٢) سورة الأعراف، آية (١٥٠).
(٣) تلبيس إبليس ص (٢٦٠).
(٤) سورة الحجر، آية (٤٣).
(٥) راجع ص(١٧).

أصلا[١].

وقال سلطان العلماء الشيخ عزالدين بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ) أن الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل فهو يقول في ذلك: « وأما الرقص والتصفيق فخفة، ورعونة، مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرعن أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بهما لا في كتاب ولا في سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء، وقد حرم بعض العلماء التصفيق على الرجال لقوله ﷺ « **إنما التصفيق للنساء** »[٢]

وقال رحمه الله عن صياح الصوفية أثناء السماع: «وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه وإلجائها إياه إلى الصياح ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء، وكذا من أظهر شيئًا من القوم رياءً وتسميعًا فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار »[٣].

وفي كتاب (الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة) نقل محمد بن صفي الدين الحنفي كلامًا جميلاً ينكر فيه على الصوفية هذا السماع جاء فيه: « ويجب منع الصوفية الذين يدَّعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء، لأن ذلك –أي رفع الصوت وتمزيق الثياب– حرام عند سماع القرآن فكيف عند سماع الغناء الذي هو حرام، خصوصًا في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق، وظهرت فيه أنواع البدع، واشتهرت فيه طائفة تحلَّوا بحلية العلماء، وتزيّنوا بزي العلماء، والحال أن قلوبهم ملئت من الشهوات الفاسدة، وهم في الحقيقة ذئاب، نعوذ بالله من شرهم »[٤].

وانتقد ابن عقيل رحمه الله تعالى أحوال الصوفية التي يتمايلون فيها ويصيحون عند السماع وما يحدث لهم من صعق وغشيان، وحكم عليهم بالتعزير، قائلا: «إن الشريعة تنهى عن تحريك الطباع بالرعونات وتمنع دق الطبول، ونهت عن الندب والنياحة والمرح وهو الخيلاء وعلمنا أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، ويتساءل ابن عقيل بعد ذلك في صيغة الدهشة والتعجّب، قائلا: « فما بال التغيير والوجد وتخريق الثياب والصعق والتماوت مع هؤلاء المتصوفة؟ وكل تهيج من هؤلاء الوعاظ المنشدين من غزل الأشعار، وذكر الفسّاق، فهم كالمغني والنائح، فيجب تعزيرهم؛ لأنهم يهيجون الطباع»[٥].

وردَّ الطرطوشي على الصوفية الاستدلال بالقياس على أن الجمل يقاسي التعب فيحدى له قائلاً: « انظروا يا ذوي الألباب كيف قادهم الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام، والصبيان في المهد –

(١) انظر: تلبيس إبليس ص (٢٥١).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (دار الشرق - مصر ١٣٨٨هـ) (٢/٢٢٠، ٢٢١).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٢٢).

(٤) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، تأليف محمد بن صفي الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية، ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ص(٢٣).

(٥) الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرناؤوط وعمر الغنام، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ه، (٢/٣٠٧).

يقصد بذلك الغزالي- وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأخبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فإن كان كل ما طربت له البهائم مندوبًا او مباحًا، فإننا نرى البهيمة تنزو على أمها وأختها وتركب بنتها، أفيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا »(١).

كما بيَّن علي بن أبي العز (ت٧٩٢هـ) في الطحاوية، أن الصعق لم يكن من صفات السلف الصالح، ولو عند سماع القرآن، فقال في معرض ردَّه على الصوفية: « وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾ [الأنفال: ٢](٢).

وعندما آثر الصوفية السماع على قراءة القرآن؛ لزعمهم أنه أكثر رقة للقلوب منه؛ عزا ذلك ابن الجوزي إلى ميل هؤلاء القوم إلى الهوى وإشباع الرغبة بما هو باطل، فقال: « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم بما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلا لتمكّن هوى باطن، وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا »(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، منكرًا على الصوفية الذين آثروا السماع على قراءة القرآن:

تُلِيَ الكتاب فأطرقوا لا خيفةً ... لكنه إطراق ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
فمتى شهدت عبادة بملاهي
دفٌّ ومزمار ونغمة شاهد ... تقييده بأوامر ونواهي
ثَقُلَ الكتاب عليهم لما رأوا ... إطلاقه في اللهو دون مناهي
وعليهم حفَّ الغناء لما ... وجنى عليه وملّه إلا هي
رأوا يا فرقة ما ضر دين محمد
سمعوا له رعدًا وبرقًا إذ حوى ... زجرًا وتخويفًا بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها يا ويحها المتناهي
وأتى السماع موافقًا أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند تلاهي
وانظر إلى تمزيق ذا ... من بعد تمزيق الفؤاد

(١) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبدالمجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م ص(٢٣٤).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق د.عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ص(٧٧١).
(٣) تلبيس إبليس ص (٢٤٧).

أثوابـــــه اللاهـــــي
فـاحكم بـأي الخمرتيـن تحريم والتأثيم عنـد الله
أحـــق بالـــــ (١)

وتوعَّد ابن كثير رحمه الله هؤلاء الذين لا يتأثرون بالقرآن ويتأثرون بالأبيات والأشعار الغرامية بالخزي والفضيحة يوم القيامة قائلاً: « فمن يهيج عند سماع الأبيات، ولا يتأثر بسماع الآيات، ينوح، ويبكي عند سماع الصوت الرغيد، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد، فمن كانت هذه صفته، فليس على الطريقة الصحيحة، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا: نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة...»[٢].

- الرد على بدعة الذكر عند الصوفية:

عدَّ الشاطبي الغناء والرقص أثناء الذكر بدعة محدثة، وذلك في جواب لسؤال ورده عن سماع الصوفية وهذا نصه: « ... وقع السؤال عن قوم يتسمَّون بالفقراء، يزعمون أنهم سلكوا طريقة الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي، ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد، ثم في الغناء والرقص، إلى آخر الليل...، هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا؟

فأجاب الشاطبي رحمه الله: « بأن ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان »[٣].

وقد بين ابن تيمية رحمه الله خطأ من دعا الله باسمه المفرد مظهرًا أو مضمرًا؛ لأنه كما يقول: « ليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره »[٤].

ويقول رحمه الله أيضًا: « وهذا النوع من الذكر أبعد من السنَّة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال يا هوهو أو هوهو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما تصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل »[٥].

قلت: والمشروع من ذكر الله هو ذكره بجملة تامة وبكلام يفيد معنى وينتفع به المؤمن فيزداد خشية ومحبة ومعرفة بربه، أما الاقتصار على الاسم المفرد -كما هو حال الصوفية- فلا أصل له في الدين. وجماع الدين أصلان أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ (٤٨٧/١-٤٨٨).
(٢) جواب لابن كثير عن مسألة السماع، بذيل كتاب الكلام على مسألة السماع ص(٧٤٦).
(٣) الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي ط١ (بيروت-دار الكتاب العربي- ١٤١٧هـ) (٢٠١/١-٢٠٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٦/١٠-٢٢٧).
(٥) مجموع الفتاوى ص(٢٢٧).

﴿عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وكان لابن القيم رحمه الله موقف المنكر للذكر الصوفي وهذا هو موقفه الواضح المبين: يرى أنه « فاسد مبني على فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئًا، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقيدة الإسلام جملة فلو قال الكافر: الله... الله... من أول عمره إلى آخره لم يصير بذلك مسلمًا فضلاً عن أن يكون من حمله الذكر أو يكون أفضل الأذكار، وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله: هو... هو... أفضل من الذكر بقولهم: الله... الله.

وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر، وأما فساد المبني عليه، فإنهم ظنوا أن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، مثل هذا الاسم فقل: الله الله، وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإن اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] إلى أن قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١] أي: قل الله أنزله »[1].

وقد أنكر المفسر القرطبي الذكر عند الصوفية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

قال رحمه الله: « وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ».

وبعد ذكر بعض الآيات في هذا الشأن قال: « فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهَّال العوام والمبتدعة الطغام، من الزعيق والزئير -أي الصياح- ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم بجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ: الفهم عن الله، والبكاء خوفًا من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم. ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم. فمن كان مستنًا فليستن بهم. ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م) ص(٣٢٨-٣٢٩).

من أخسهم حالاً، والجنون فنون »[١].

وفي كتابه الإبانة الصغرى: عدَّ ابن بطة، (ت٣٨٧هـ) استعمال القينات واستعمال الغناء والصراخ ولطم الخدود وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن مما أحدثه الناس وابتدعوه.

ونقل عن ابن المبارك، (ت١٨١هـ) قوله: « هؤلاء الذين يصعقون عند استماع الذكر تقعدهم على الجدران العالية وتقرأ عليهم وتنظر هل يتردون؟ وصنف من الناس يظهرون التقشف، اتخذوا الاستماع إلى القصائد والاجتماع على ذلك سنة لهم، ليلهوا بذلك أنفسهم ويطربوا قلوبهم، ومنهم من يرقص ويصفق بيديه ويخرق ثيابه ويقولون في قيلهم: قال الله -ﷻ- وقالت الحوراء، وقال الولي شيئًا لم يقله الله ولا جاء في أثر ولا سنة، ولم تقله حوراء ولا قاله ولي، وهذا مبتدع كذب وزور »[٢].

ولا يزال في عصرنا، ينتشر ما يسمى « مجالس الذكر »، وهي عبارة عن حلقات جماعية يختلط فيها الرجال والنساء، ويتخللها الأدعية الجهرية والبدعية، مصحوبة بالنغمات الموسيقية، يقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه: « الصوفية معتقدًا ومسلكًا »: أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الاحتفال بمولد كبارهم أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي تكون قوتها أحيانًا أكثر من مائتي عازف من الرجال والنساء، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات يتناولون ألوانًا من شرب الدخان، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبوريهم، وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة مستمد مما يسمى « كورال صلوات الآحاد المسيحية »[٣].

وقال عبدالفتاح أبوغدة في تعليقه على « رسالة المسترشدين»: « بقي شيء آخر أرى التنبيه عليه، وهو شائع اليوم في كثير من حلق الذكر في زماننا! وذلك أنهم يقولون: الله الله الله...، ويكررونها هكذا، فتكون كلمة الجلالة في أول ذكرهم مفهومة، ثم يسرعون بالنطق بها سرعة بالغة متلاحقة، ثم يسرعون بها جدًا، حتى تتداخل اللفظة في اللفظة مع اقتطاع بعض حروفها، فتصير كلمة الجلالة المعظمة صوتًا مبهمًا، يتردد في الفم بسرعة قصوى، لا يفهم منه شيء فهو ذكر محظور، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من هؤلاء الناكرين لله!! »[٤].

أيضًا هذه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، تنكر على الصوفية ما يفعلون أثناء الذكر من رقص وغناء وتمايل باعتباره حلال وذلك بالفتوى رقم (٣٥٤٤) والتي جاء فيها:

سؤال: هل ما يفعله الصوفية من رقص وغناء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٥/٧).

(٢) الإبانة الصغرى، عبيدالله بن بطة، ط١ (الرياض - در أطلس - ١٤٢٢هـ) ص(٢١٣، ٢١٧، ٢١٨).

(٣) الصوفية معتقدًا ومسلكًا، د/ صابر طعيمة ط٢ (الرياض - عالم الكتب-١٤٠٥هـ) ص(٣١٣).

(٤) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، تقديم: حسنين مخلوف ص(١١٦).

وتمايل ذات اليمين والشمال ذكر كما يسمونه حلال أم حرام؟

الجواب: خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وقد أكمل الله الدين لعباده قولاً وعملاً واعتقادًا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

والرسول ﷺ بين هذا الدين بقوله وفعله وتقريره، وصحابته -رضي الله عنهم- نقلوا عنه ﷺ ما صدر منه من الأقوال والأفعال والإقرار، فالدين كامل من جهة قواعده ومن جهة بيانه ونقله. والذكر نوع من العبادات والعبادات مبنية على التوقيف. ومن خصص شيئًا من العبادات وحدد له وقتًا معينًا أو كيفية خاصة لأدائه فهو مطالب بالدليل، وما ذكر في السؤال لا نعلم له أصلاً شرعًا يعتمد عليه. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[١] فما ذكر في السؤال من النوع المردود »[٢].

وقد أساء الصوفية إلى الإسلام إساءةً بالغة؛ مما سبب نفور غير الإسلاميين منه، لما شاهدوا من سلوكهم المنحرف، وذكرهم بتكرار لفظ: الله، الله فظنوه هو الإسلام ونفروا منه مما حدا بأحدهم وهو باحث مستشرق فرنسي يدعى « كيمون » للقول في كتابه « باتولوجيا الإسلام »: ما ملخصه:

« إن الديانة المحمدية: -يقصد الإسلام- جزام تفشى بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظه: «الله » إلى ما لا نهاية... »[٣].

ومن الشواهد على أن هذا الذكر الصوفي، انعكس سلبًا على الإسلام وأهله -ما قاله الأستاذ محمد شقفة في كتابه: «التصوف بين الحق والخلق» ما نصه:

« وقد حدثني من أثق به من رجالات حماة - بسوريا- أن الجنرال الفرنسي « سراي » عندما زار حماة أراد التعرف على معالمها فرافقه أحد الوجهاء المثقفين، وعندما وصلا إلى إحدى الزوايا - الصوفية- شاهدا فيها إحدى حلقات الذكر -عند الصوفية- والذاكرون وقوفًا يتمايلون ويرقصون فتعجب الجنرال وسأل المرافق. هل هذا من الدين الإسلامي؟، فأجابه المرافق النبيه بسرعة: لا أبدًا إنه ملهي « تياترو » تحت ستار الإسلام البريء من هذه الخرافات والمساخر »[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (١٦٧/٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط١ (مكتبة المعارف - الرياض - ١٤١٢هـ) (١٨٧/٢-١٨٨).

(٣) التصوف بين الحق والخلق، محمد فهد شقفة، ط٣ (حولي - الدار السلفية- ١٤٠٢هـ) ص(١٦٢-١٦٣).

(٤) التصوف بين الحق والخلق ص(١٥٩).

- الرد على دعوى جواز النظر إلى الأمرد:

هذا السلوك المصادم للفطرة، اشتهر عند الصوفية، وهو من متولدات وإفرازات السماع، وتواترت أخباره عند مصنفيهم كما سبق أن بينا، وقد اتخذ منه المتصوفة، وسيلة لممارسة السماع وما يتولد منه من رقص، وصعق، ونط، ولطك، وشق ثياب وخلاف ذلك من إفرازات لم ينزل بها الله من سلطان ولم يأت عليها دليل ثابت.

وقد واجهت تلك البدعة نفورًا واشمئزازًا من العقول السليمة فتصدى لها العلماء بالنقد والرد، وتشنيع من قال بها ودعا إليها.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه[١].

وحذر البربهاري (ت٣٢٩هـ) من مجالسة هؤلاء المبتدعة الذي يدعون إلى كل هوى وفتنة مع النساء والمردان، يفهم ذلك من كلامه رحمه الله الذي قال فيه: « واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ومن يخلو مع النساء، وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على الضلالة »[٢].

وأنكر الطرطوشي رحمه الله دعوى الصوفية بجواز النظر إلى الأمرد بحجة الاستدلال على الله، وعقد فصلاً عن ذلك في كتابه: تحريم الغناء والسماع ومما جاء فيه: « أما قولهم: « أنهم يستدلون بالصنعة على الصانع » فنهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل ومخالفة العلم. ثم ساق بعض الأدلة من القرآن التي ترفض هذه الدعوى من أساسها »[٣].

ومما ذكره ابن الجوزي في رده وإنكاره على الصوفية في صحبتهم للأحداث واستمتاعهم بالنظر إلى المردان قوله: «... قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية، وهذه من خلال الصوفية المذمومات »[٤].

وقال أن صحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية[٥].

ولما كانت دعاوى الصوفية في نظرهم للأمرد هي للاعتبار وزيادة الإيمان وإنه لا خوف عليهم من رؤيتهم، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلاً: « قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة، ليس بشيء فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص.

وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوي قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الغاشية: ١٧-١٩].

فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٢٦٦).
(٢) شرح السنة للبربهاري ص(١٠٨).
(٣) انظر: كتاب تحريم الغناء والسماع للطرطوشي ص(٢٦١).
(٤) تلبيس إبليس ص(٢٦٩).
(٥) انظر: المرجع نفسه ص(٢٧٦).

ولاحظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة. ولا تعتبر بها لذة، فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة، وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها، لأنها قد تكون سببًا للفتنة، وكذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضيًا ولا إمامًا ولا مؤذنًا، كل ذلك لأنها فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبرًا كذبناه، وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه، وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين »[١].

وفي ردِّه على الصوفية الذين زعموا أن النظر إلى وجه الأمرد فيه زيادة الإيمان بيَّن القاضي طاهر الطبري(ت٤٥٠هـ) بطلان وزيف هذه المزاعم بقوله: « وقد بلغني أن هذه الطائفة -الصوفية- تضيف إلى السماع النظر إلى وجه الأمرد وربما زينوه بالحلي، والمصاغات من الثياب، وزعموا أنهم يقصدون بهذا الازدياد من الإيمان بالنظر والاعتبار، والاستدلال بالصنعة على الصانع. وهذه النهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل.

ثم ساق رحمه الله بعض الآيات التي تدعو للتفكر في خلق الله وأعقبها ببعض الأحاديث النبوية التي تحذر من هذه السلوك الشائن وأورد بعض أقوال التابعين التي تحذر من النظر إلى الأمرد ومنها:

قول عقبة بن الوليد: قال بعض التابعين: « كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد الجميل.

وقال مسلم بن قتيبة: سمعت سفيان الثوري يقول: « ولو أن الرجل عبث بغلام أمرد بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوة، لكان لوطيًا ».

وقال الحسن بن ذكوان: « لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صورًا كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى ».

وقال بعض التابعين: « اللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يفعلون ذلك الفعل ».

وبعد أن ساق هذه الأدلة قال: وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه من سماع الغناء، والنظر إلى الوجوه الملاح بعد تناول الألوان الطيبة، والمآكل الشهية، فإذا شفت نفوسهم طالبتهم بما تبتغيه من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر في وجوه المرد دون الشهوات »[٢].

وقد جرح الحافظ ابن ناصر (ت٥٥٠هـ) عدالة محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، عندما أجاز النظر إلى المرد بقوله: أنه ممن لا يحتج به، فقد صنّف كتابًا في جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية يحيى بن معين، أنه قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل له: تصلي عليها؟!! قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال: ابن

(١) تلبيس إبليس ص(٢٦٨-٢٦٩).

(٢) الرد على من يحب السماع للقاضي طاهر الطبري، دار الصحابة للتراث، دراسة وتحقيق مجدي فتحي ص(٦٥-٦٨).

ناصر رحمه الله، كان ابن طاهر هذا يذهب مذهب الإباحية، يعني في النظر إلى الملاح[١].

ولا ينبغي أن يفوت على المسلم ما أمر الله به عباده المؤمنين من غض للأبصار عن كل ما هو سبب للفتنة سواء كان امرأة أو شابًا أو أمردًا، يخاف من النظر عليه الوقوع في الفتنة.

فقد قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور: ٣١].

وما أحسن كلام الشيخ عبدالرحمن دمشقية، في حق هؤلاء عندما قال فيهم: « إذا رأى رقص صوفية زماننا –الحاضر– في المساجد والدعوات بألحان ونغمات مختلطًا بهم (المُردْ)[٢] وأهل الأهواء من جهّال العوام والمبتدعة الطغام لا يعرفون الطهارة والقرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله ويغيّرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة وهذيانات كريهة مثل: هاي، وهوي وهي وهيا– يقول: لا محالة هؤلاء اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وإن لم يكن له ممارسة بالفقه. وعلم تفصيلي بحالهم، فالويل للقضاة والحكام حيث يعرفون ويشاهدون ولا ينكرون ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء منهم »[٣].

وقد أنكر عليهم إبراهيم الحلبي(ت٩٥٦هـ) هذا السلوك وعده تشبهًا بالبهائم والنصارى بقوله: "واعلم أن صنيعهم هذا قد اشتمل على جملة من القبائح منها عدم المروءة والتشبه بالنساء والصبيان قال سلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام: الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء، ومنها التشبه بالبهائم كالقردة والذباب ومنها التشبه بالنصارى... ومنها خلط المعصية بالعبادة ومنها اعتقاد ذلك عبادة وقربة فكان من هذه الحيثية أشد من الفسق الذي يعتقده فاعله فسقًا، ولقد بلغني ممن أنكلات عليه أنه قال بعدما غبت عنه لا ينكرون على من يشرب الخمر وينكرون علينا أو كما قال، فأقول لو تأمل هذا المسكين تأمل المنصفين، لوجد هذا الفعل أشد ضررًا عليه من شرب الخمر، فإن شارب الخمر، يعتقد حرمة فعله، فربما يستغفر منه ويندم عليه ويحصل له الذلة والانكسار ويقابل من الخلق باللوم والاحتقار، بخلاف هؤلاء، فإنهم باعتقادهم أنه عبادة لا يستغفرون منه ولا يندمون؛ بل يتباهون به ويتطاولون، وينالون عند الناس المنزلة والاعتبار والتعظيم، وهذا ما يذكر عند إبليس

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(١٦٥-١٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٤/١٩).

(٢) جمع أمرد، وهو الغلام الذي لم تظهر علامات الرجولة فيه، كظهور اللحية وخشونة الصوت.

(٣) الصاعقة المحرقة ص(٤٥).

الله، قال: قصمت ظهور بني آدم بالمعاصي، فقصموا ظهري بالاستغفار، فأحدثت لهم ذنوبًا لا يستغفرون منها وهي البدع"[١].

- **نقد الصوفية لبعضهم:**

رد كبار أئمة ومشايخ الصوفية ما يعرف عندهم بالسماع، وما تولد منه من رقص، وصعق، وصياح، ونط، وتمزيق ثياب..إلخ، وأنكروا هذه السلوكيات على أهلها.

أبوعلي الروذباري (ت٣٢٢هـ)من كبار الصوفية، يقول في السماع: « ليتنا تخلصنا منه رأسًا برأس»[٢].

ويستنكر على من يستمع للملاهي من هؤلاء السذَّج، ويزعم أنه سقطت عنه التكاليف الشرعية، فسماعه لها حلال، لأنه قد وصل إلى درجة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال، فقال عنه الروذباري: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر[٣].

والجنيد (ت٢٦٧ه) المسمى عندهم « سيد الطائفة » يستنكر هذه الرعونات التي تصدر من بعضهم، ذلك أن رجلاً كان يصحبه في سفره، وكان الرجل إذا سمع شيئًا من الذكر يزعق، فقال الجنيد: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني[٤].

(١) الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، ت(٩٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د.صالح السدلان، ط١، ١٤١٠هـ، ص١٠٧-١٠٩.
(٢) كشف المحجوب للهجويري ص(٤٨٩).
(٣) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه، (٣٥٦/١٠)، طبقات الصوفية ص(٨٧)، الطبقات الكبرى (١٠٦/١).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص(١٠٦).

وقال أبوحفص الحدَّاد (ت٢٦٠ه): « إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة »[٥].

وعبدالقادر الجيلاني (ت٥٦١ه) رحمه الله من كبار مشايخ الصوفية، رأى كراهية السماع وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع، فهو يقول: « وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم »[٦].

والسهرودي (ت٦٣٠هـ) وهو من أئمة الصوفية ومصنفيهم في كتابه: « عوارف المعارف » يرفض هذه الظاهرة المقيتة، وما يصاحبها من سلوكيات شاذة، فهو يقول: « إن أنصف المنصف، وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشبب بشبابته، وتصوره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبي ﷺ، وهل استحضروا قوّالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لاشك بأنه ينكر ذلك من حال الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها »[٧].

وقد ردَّ في مصنفه « عوارف المعارف » حديث أنس -رضي الله عنه- في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي -والذي استدل به الصوفية واحتجوا به على التواجد أثناء السماع- بقوله: « فهذا الحديث أوردناه مسندًا كما سمعناه

(٥) الرسالة القشيرية ص(٥١٩).
(٦) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) (١٦٧/٢).
(٧) عوارف المعارف ص(١٧٥).

ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صح –والله أعلم– ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك »(١).

ونُقل عن الجريري الصوفي (ت٣١١هـ) قوله: « رأيت الجنيد في المنام فقلت: « كيف حالك يا أبا القاسم؟ » فقال: « طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات»(٢).

وهذا أبوالحارث الفيض الأولاسي (ت٢٩٧هـ) يربط الرقص بإبليس وبفرحه مما حققه مع الصوفية المتعاطين له، يقول: « رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس(٣) على يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا! فقالوا وغنَّوا فاستفزني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصيب شيئًا أدخل به عليكم إلا هذا »(٤).

وعدَّ الطوسي –صاحب « اللمع » وهو أحد أئمتهم الكبار– أن هذا السماع هو سماع أهل الباطل فهو يقول: « سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكونة والطبل سماع أهل الباطل، وهو المحظور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ»(٥).

وقال أبومحمد الجريري وهو من أكابر مشايخ الصوفية: « من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حكم الشهوات محصورًا في سجون الهوى فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه »، وذكر عند بعض العارفين أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرَّارون من الله لو ناصحوا الله وصدقوا لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي »(٦).

وقد ردَّ القشيري أحد أئمة الصوفية على غلاتهم في مسألة جواز النظر إلى الأمرد وقال قولاً عظيمًا في الرد عليهم وكشف فضائحهم قائلاً: « ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سوأته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل »(٧).

وهذا الواسطي وهو من كبار الصوفية يقول: « إذا

---

(١) عوارف المعارف ص(١٨٩).
(٢) الرسالة القشيرية ص(٥٦٥).
(٣) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. انظر معجم البلدان (٢٨٢/١).
(٤) تلبيس إبليس ص(٢٥٠).
(٥) اللمع للطوسي ص(٣٤٨).
(٦) الرسالة القشيرية ص(٩٥-٩٦)، وانظر نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧ه، ص(١٠١).
(٧) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف »[1].

هذه بعض أقوال أئمة ومشايخ الصوفية على أتباعهم،

فياليت صوفية هذا الزمان، يستجيبون لكلام هؤلاء الأئمة الكبار، ويتركون هذا السماع ومتولداته من الصعق والرقص والزعق وتمزيق الثياب وغيرها، ويتركون الذكر المصاحب للطبل والمزمار والرقص والمعازف، بل ومصاحبة المردان والاختلاط أحيانًا بالنساء الأجنبيات، نعوذ بالله من البدع والفتن.

- لسماع ومتولداته في ميزان الشعر:

كان للشعر والشعراء، موقف المنكر لبدع الصوفية في السماع ومتولداته، فهم الآخرون سطروا أجمل الشعر وأعذبه في إنكار هذه البدعة من خلال نقدهم لما رأوه من أفعال معاصريهم من هؤلاء وقد اتفقوا أو كادوا على أن هذه السلوكيات إنما يقوم بها صبيان أو...، تشبهوا بالحمير والسكارى، وهي خارجة عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ولعلنا في آخر هذا البحث نعيش مع الشعر والشعراء من العلماء في نقدهم وإنكارهم على المتصوفة وبدعتهم في السماع وإفرازاته

نبدأ هذه الواحة الشعرية، بقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ودع الذين إذا أتوك تنسكواوإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

وقصيدته -رحمه الله- المعروفة، في ذم رقص الصوفية، والذي قال فيها:

قالوا رقصنا كما الأحبُوش قد رقصوا ... بمسجد المصطفى قلنا بلا كذب
الحُبش ما رقصوا لكنهم لعبوا ... من آلة الحرب بالآلات واليَلَب[2]

وأنشد أبوبكر العنبري (ت٤١٢هـ) لنفسه في الصوفية:

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالي وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه ... وأقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقة رقعت ... وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته ربه ... فإن فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السماع ... بين البسط وبين النشيد
يئن إذا أوضمت رنة ... ويزرأ منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامدًا ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمي بهيكله في السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء ... سلقتهم بلسان حديد
فمالي يطالبني بالوصال ... من ليس يعلم ما في الصدود
اضن بودي ويسخو به ... وقد كنت أسخو به للودود
ولكن إذا لم أجد صاحبًا ... يسر صديقي ويشجو الحسود
عطفت بودي مني إليه ... فغاب نحوسي وآب السعود
فما بال قومي على جهلهم ... بعز الفريد وأنس الوحيد

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٢) انظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، ص٩٠-٩١.

إذا أبصروني بكرا رحمة ونيران أحقادهم في وقود
لأني بعدت عن المدعين ولو صدقوا كنت غير البعيد[١]

وأنشد الحسن بن علي بن يسار:

رأيت قومًا عليهم سمة الخير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس في جوامعهم سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادمًا لهم زمنًا حتى تبينت أنهم سفله
إن أكلوا كان أكلهم سرفا أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرًا عن فرضه لا تخاله عقله
وأسأله عن وصف شادن غنج مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم إذا جلسوا كعلم راعي الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والبرهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كي يروا صلحا وهم شرار الذباب والحفله
وجانبوا الكسب والمعاش لكي يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولا دعة لكن تعجيل راحة العطله
فقل لمن مال باختداعهم إليهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ولا تعاود لعشرة الجهلة[٢]

وقال الصوري:

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة
صار التصوف صيحة وتواجدًا ومطبقة
كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقة
حتى تكون بعين من منه العيون المحدقة
تجري عليك صروفه وهموم سرك مطرقة[٣]

وقال أبوإسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وأرقصوا لي[٤]

وأنشد البنا السرقسطي:

وليس يحتاج إلى السماع إلا أخو الضعف القصير الباع
والزعقات منه والتمزيق ضعف، وهزّ الرأس والتصفيق

وألقى الأخضري اللائمة على الصوفية الذين يرقصون وينبحون ويصيحون حيث قال:

وقال بعض السادة المتبعة في رجز يهجر المبتدعة
ويذكرون الله بالتغبير ويشطحون الشطح كالحمير
وينبحون النبح كالكلاب طريقهم ليس على الصواب
وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

وقال أيضًا:

أبقوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا في أعظم الأسماء
لقد أتوا والله شيئًا إدًّا تخرُّ منه الشامخات هدًّا

وذمهم آخر بقوله:

الرقص نقص والسماع رقاعة وكذا التواجد خفه بالرأس
والله ما رقصوا لطاعة ربهم بل للذي طحنوه بالأضراس

وقال آخر أيضًا بذمهم، ويخص منهم من جعل العمائم الخضر علامة الشرف في النسب، يقول:

أقال الله صفق لي وغنى وسم الرقص والتصفيق ذكرا

(١) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٦-٣٧٧).
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٧-٣٧٨).
(٣) انظر: تلبيس إبليس ص(٣٧٨).
(٤) انظر: المرجع نفسه ص(٣٧٨).

فلـو كـان السـيادة فـي اخضـرار لكان الساق أشرف منك قدرًا

وقال أبوعبدالله ابن الطوبي الصقلي:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعة ولا بكـاءك إن غنـى المغنونـا
ولا صـياح ولا رقـص ولا حـراب ولا تغاش كأن قد صرت مجنونًا
بل التصوف أن تصفوا بلا كدر وتتبـع الحـق والقـرآن والـدنيا
وأن تـرى خائفًـا لله ذا نـدم على ذنوبك طول الدهر محزونًا

وقال شاعر آخر:

أيا جيلاً تصوَّف عن فضولٍ تنـاقلتم جهـولاً عـن جهـول
أفـي القـرآن قـال الله يومًـا كلـوا أكـل البهـائم وارقصـوا لـي!!

وفي إغاثة اللهفان لابن القيم قال القائل:

بَرئنـا إلـى الله مـن معشـر بهم مرضٌ من سماع الغنا
وكم قلتُ: يا قوم، أنتم على شفا جُرُفٍ ما بـه من بِنَا
شـفا جـرفٍ تحتـه هـوَّة إلـى دَرَكٍ، كم به من عَنا
وتكـرارُ ذا النصـح مِنَّـا لهـم لنُعْـذِر فـيهم إلـى ربنـا
فلمـا اسـتهانوا بتنبيهنـا رجعنـا إلـى الله فـي أمرنـا
فعِشْـنَا علـى سُـنَّةِ المصـطفى ومـاتوا علـى تِنْتنـا تِنْتنـا

أيضًا في إغاثة اللهفان، قال ابن القيم:

جعلوا السماع مطيةً لهواهُمُ وغلوا فقالوا فيه كل محال
هـو طاعـة، هـو قربـة، هـو سـنة صـدقوا لـذاك الشـيخ ذي الإضـلال
شيخ قديم، صادهم بتحيل حتى أجابوا دعوة المحتال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى من أوجهٍ سبعٍ لهم بتوال
هجروا لـه القرآن والأخبـار والآثـار إذ شـهدت لهـم بضـلال
من مثلهم، واخيبة الآمال
تـالله مـا ظفـر العدو بمثلها نصب الحبال لهم، فلم يقعوا بهـا
فـإذا همـوا وسـط العـرين ممزقـي لا يسـمعون سـوى الـذي يَهْوونـه
ودعـوا إلـى ذات اليمـين فأعرضـوا خـروا علـى القـرآن عنـد سـماعه
وإذا تلا القاري عليهم سورة ويقول قائلهم: أطلتَ، وليس ذا
هذا، وكم لغوٍ، وكم صخبٍ، وكـم حتى إذا قام السماع لديهم
وامتدت الأعناق، تسمع وحي ذاك وتحركـت تلـك الـرؤوس، وهزهـا
فهنالـك الأشـواق والأشـجان والأحـوال تالله لو كانت صَحاةً أبصروا
لكنَّما سُكرُ السماعِ أشد من فإذا هما اجتمعا لنفس مرةً
يـا أمـةً لعبت بدين نبيها أشمَتُّمُوا أهل الكتاب دينكم
كم ذا نُعَيِّر منهمُ بفريقكم قالوا لنا: دينٌ عبادةُ أهله
بل لا تجيء شريعة بجوازه فأتى بذا الشرك المحيط البالي
الأثواب، والأديان والأحوال شغلاً به عن سائر الأشغال
عنهـا، وسـار القـومُ ذات شِـمالِ صُـمَّاً، وعميانـاً ذوي إهمال
فأطالها، عدُّوه في الأثقال عشـرٌ، فخفـف، أنـت ذو إمـلال
ضحكٍ بلا أدب، ولا إجمال خشـعت لـه الأصـوات بـالإجلال
الشـيخ مـن متـرنمٍ قـوَّال طربٌ، وأشواق لنيل وصال
حوال، لا أهلاً بذي الأحوال ماذا داهاهم من قبيح فعال
سكر المدام، وذا بلا إشكال نالت من الخسران كل منال
كتلاعـب الصـبيان فـي الأوحـال والله لن يرضوا بذي الأفعال
سرًّا وجهرًا عند كل جدال هـذا السـماع، فـذاك ديـن محـال
فسلوا الشرائع تكتفوا بسؤال مـن الشـيطان للأنـذال
وينـال فيـه حيلـة المحتـال بـالحق، ديـن الرسـل، لا بضـلال
مـن أفـواههم بمقـال

لـو قلتمُـوا فِسـق، ومعصـية فسـخت عقـود الـدين فسـخ
وتـــــــزيينٌ فصـــــــال
ليصُدَّ عن وحي الإلـه ودينـه فيـه تفصـله مـن الأوصـال
كُنّـا شـهدنا أن ذا ديـنٌ أتـى حيـل، وتلبـيس بـلا إقـلال
والله مـنهم قـد سـمعنا ذا إلـى
الآذان
وتمام ذاك القول بالحيل التي
جعلته كالثوب المُهَلْهَلِ نسجه
ما شئتَ من مكر، ومن خِدع،
ومـــــــن

وقال ابن القيم رحمه الله عن السماع الصوفي: هذا السماع الشيطاني المضادُّ للسماع الرحماني، لـه فـي الشـرع بِضـعة عشـر اسـمًا: اللهـو، واللغـو، والباطـل، والـزور، والمكـاء، والتصـدية، ورقيـة الزنـا، وقرآن الشيطان، ومُنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمـق، والصـوت الفـاجر، وصـوت الشـيطان، ومزمور الشيطان، والسُّمود.

أسمـــــاؤه دلــت علــى أوصافــــه
تبـــاً لـــذي الأسمـــاء والأوصـــاف

فنذكر مخازي هذه الأسماء، ووقوعها عليه في كلام الله ﷻ وكـلام رسـوله، والصـحابة، لـيعلم أصـحابه وأهله بما به ظفروا، وأيّ تجارة رابحة خسروا:

فدع صاحب المزمار، والدفِّ والغنا وما اختاره عن طاعة الله مذهبا
ودعـه يعـش فـي غنيـه وضـلاله علـى تاتِنَـا يحيـا ويبعـث أشـيبا
وفـي تنتنـا يـوم المعـاد نجاتـه إلـى الجنـة الحمـراء، يُدعى مقربـا
سـيعلم يـوم العـرض أي بضـاعة أضاع، وعند الوزن ما خف أو ربا
ويعلـم مـا قـد كـان فيـه حياتـه إذا حصـلت أعمالـه كلهـا هبـا
دعـاه الهدى والغـيُّ مـن ذا يجيبـه؟ فقـال لـداعي الغـيّ: أهـلاً ومرحبـا
وأعرض عـن داعي الهدى، قـائلاً لـه: هواي إلـى صـوت المعازف قـد
يــراعٌ، ودُف بالصـــنوج، وشـــاهد صـــــــبا
إذا مـــا تغنـــي فالظُبـــاء تجيبـــه وصوت مغنٍّ، صوته يقنص الظبا
فمـا شـئت مـن صـيدٍ بغيـر تطـارد إلـى أن تراهـا حولـه تُشـبه الـدِّبا
فيا آمري بالرشد، لـو كنـت حاضـرًا ووصـل حبيـب كـان بـالهجر عـذبا
لكـــان تـــوالي اللهـــو عنـــدك

وقد قيل –عن هذا السماع– في إغاثة اللهفان:

فسـل ذا خبـرةٍ يُنبيـك عنـه لتعلمَ كم خبايا فـي الزوايا
وحاذر إذ شُغِفت بـه سِـهامًا مُرَيَّشــةً بأهــدابِ المنايــا
إذا مـا خالطـت قلبًـا كئيبًـا يقلـب بـين أطبـاق الرزايـا
ويُصبح بعد أن قد كان حرًا عفيف الفرج عبدًا للصبايا
ويُعطي من به يُغني غناء وذلك منه من شر العطايا

وقال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان، وهو يصف من اصطاده الشيطان في هذا السماع البدعي: « وانتقل مـن الوقـار والسكينة إلـى كثرة الكـلام والكذب، والزهزهـة والفَرْقَعة بالأصابع، فيميل برأسه، ويهُزُّ منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدقُّ على أمِّ رأسه بيديه، ويثِبُ وثبات الـدَّباب، ويـدور دوران الحمـار حـول الـدُّولاب، ويُصَـفِّق بيده تصفيق النسوان، ويَخُور من الوَجْد كخوران الثيران، وتـارة يتـأوه تـأوّه الحـزين، وتـارة يَزْعَـق زَعَقـات المجـانين، ولقد صدق الخبيرُ به من أهله حيث يقول:

أتـذكرُ ليلـةً وقـد اجتمعنـا علـى طيـب السـماع إلـى الصـباح؟
ودارت بيننـا كـأسُ الأغـاني فأسـكرتِ النفـوس بغيـر راح
فلـم تـر فـيهم إلا نشـاوى سرورًا، والسرور هناك صاحي
إذا نـادى أخـو اللـذات فيـه أجاب اللهوُ حيَّ على السماح
ولم نملك سوى المهجات شيئًا أرقناهـا لألحـاظ المِـلاح

ونظـم السـغناقي صـاحب النهايـة فـي رسـالته فـي ذم المتصوفة قائلاً:

أيا جيل التصوف شرّ جيل لقـد جئـتم بـأمر مسـتحيل
أقـال الله فـي القـرآن فـيكم كلوا مثل البهائم وارقصوا لي؟!
أيـرقص مـن لـه عقل ودين كـدبٍ بالـدفوف وبـالطبول
نقضتم إذ رقصتم قد خرجتم لـدى أهل الشـهادة عـن عـدول
فمـا مـن أحـد صـوفي إلا لـذي بـدع وذي الأهـواء قـال
ووجـدٌ لا يحـوّزه كتـابٌ وسـنة فلغـو ذو افتعـال
وإن سئلوا بضـرب الـدف لـه أو أذن عنـه بالضـرب المقول
وإنـا قـد أمرنـا أتركوهـم علـى مـا هـم مـن أفعـال السـفول[1]

ونظـم إبـراهيم الحليبـي (ت سـنة ٩٥٦هــ) فـي ذم الصـوفية قائلاً:

الـذكر ريحانـة القلـوب والـرقص مـن أقـبح العيـوب
وكيـف أدنـوا إلـى حبيبـي بكـخٍ وكـخٌ وكـح كـوب
لـو كـان ذا الرقص فرض ربي أو سـنة المصـطفى الحبيـب
رقصـت طوعـاً علـى دمـاغي فضـلاً عن الرجل والقضـيب
لكنـه بدعـة وإثـم لـم يـرض للعاقـل اللبيـب[2]

(١) انظر: الصاعقة المحرقة ص(٤١-٤٣).
(٢) انظر: الصاعقة المحرقة ص(٤٣).

ونظم شرف الدين المقري اليمني (ت٨٣٧هـ) في ذم الرقص عند الصوفية قائلاً:

قـالوا: رقصـنا كمـا الأحُبـوش قد رقصـوا بمسـجد المصـطفى، قلنـا: بـلا كـذبِ
الحُبْشُ ما رقصوا، لكنهم لعبوا من آلةِ الحرب بالآلات واليَلَب
وذلـك اللعـب منـدوبٌ تعلُّمـه فـي الشـرع للحـرب تـدريبًا لكـل غبـي[3](*)

وقد هجاهم ظهير الدين قاضـي السّلامية(ت٦١٠هـ) الـذي هجـا مكـي شـيخ زاويـة الفقراء بـالبوازيج، البلـدة القريبة من السّلامية، بقوله:

ألا قل لمكّي قول النصوح فحق النصيحة أن تُتبع
متى سمع الناس في دينهم بأن الغناء سنة تُتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير ويرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاوي الحشاء جائعًا لما دار من طرب واستمع
وقالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القِصع
كذاك الحمير إذا أخصبت يُنقزها ريّها والشبع[4]

(٣) انظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي ص(٤٢).
(*) وفي عصرنا هذا ظهر ما يُعرف بـ « الأناشيد الإسلامية » سلبت عقول شباب الأمة نساءً ورجالاً وخاصة فئة الشباب منهم، لم تُعرف من ذي قبل عند سلف الأمة، وهي وإن خلت من الآلات الموسيقية؛ إلا أن فيها من الفتنة ما الله به عليم، من نعومة ورقة في الصوت وميوعة في الأداء، تصاحبها في ذلك المؤثرات الصوتية الحديثة الفاتنة التي تزيد من إثارة الغرائز التي قد تجر صاحبها إلى ارتكاب ما حرم الله. وهي لا تعدو شبيهة بما يقوم به المنشد عند الصوفية من تأوهات، ولعل في أداء الشعر العربي الموزون المنضبط الخالي من هذه المؤثرات المهيجة غُنية عن ذلك كله. والله أعلم.
(٤) انظر: الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، لأبي الفضل جعفر الأدفوي المصري، حققه وقدم له وعلق عليه د.محمد عيسى صالحيّة، ص١٣-١٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

أرجو الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث؛لتناول تعد من أهم قضايا السلوك عند الصوفية « السماع » وقد عرضت شبهتهم وما أفرزته من آثار، ظهرت عليهم، وذلك من خلال ممارساتهم وأقوال مشايخهم ومصنفيهم.

آثار، ومتوالدات هذا السلوك، من (رقص وصعق والزعق ولطم وتمزيق للثياب) تجسّدت في غالبها، عندما يمارسون عبادة الذكر، بمعتقدهم البدعي الظاهر، والملازم للسماع عندهم، بل هو أحد بواعثه، ثم عرفنا كيف أقدموا على سلوك آخر يصادم الفطرة؛ هو اعتقادهم بجواز النظر إلى الأمرد والنسوة، بحجة الاعتبار وزيادة الإيمان، أثناء ممارسة السماع ومتولداته.

وخلاصة اعتقادهم في السماع، أنه دين وقربة وطاعة لله.

وبعد بيان شبهات الصوفية حول السماع، وبواعثه، ومتولداته من خلال أقوال أئمتهم ومشايخهم المثبتة بمؤلفات مصنفيهم، وقفنا على رأي علماء الأمة إزاءها، وهم الذين اعتمدوا على منهج الشرع في الرد على المخالف؛ وقد عدّوا هذه السلوكيات؛ بدعًا، ومحدثات، لا يجوز تجاهلها، لخطورتها على العقيدة.

فتواترت الردود، والإنكارات على هذه البدع، في كل مصر وعصر، وهي تؤكد وحدة منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع والأهواء، مهما تباعدت بهم العصور والأمصار.

وكان للشعراء في تلك الأزمان، موقف، ورأي، اتصف بالنقد والانكار على هذه السلوكيات المحدثة.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الصغرى، عبيدالله بن بطة، ط١ (الرياض – در أطلس – ١٤٢٢هـ).

٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار العلم.

٣- الآداب الشرعية، لأبي عبدالله محمد ابن مفلح، تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرناؤوط وعمر الغنام، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

٤- آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي.

٥- آراء الأئمة الأربعة أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء

٦- الاستقامة لابن تيمية، تحقيق د. رشاد سالم، ط٢، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ.

٧- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي – ١٤١٧هـ).

٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة.

٩- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني، تحقيق وتقديم طه عبدالباقي سرور، ومحمد عيد الشافي، بيروت، مكتبة المعارف.

١٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، ط٢، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

١١- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك ط٢ (مصر: دار الكتاب العربي -١٣٧٣هـ).

١٢- التصوف بين الحق والخلق، محمد فهد شقفة، ط٣ (حولي – الدار السلفية- ١٤٠٢هـ).

١٣- التعرف لمذهب أهل التصوّف، أبي بكر محمد الكلاباذي، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ.

١٤- تفسير البغوي، تخريج وتحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط٢، الرياض، دار طيبة.

١٥- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط٩، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ.

١٦- الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٧- جواب لابن كثير عن مسألة السماع، بذيل كتاب الكلام على مسألة السماع.

١٨- جواهر المعاني على برادة (دار الجيل – بيروت).

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ.

٢٠- ذم ما عليه مدعوا التصوّف لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي – ١٤٠٤هـ).

٢١- الذيل طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

٢٢- الرد على من يحب السماع/ القاضي طاهر الطبري، دراسة وتحقيق: مجدي السيد ط١ (طنطا – دار الصحابة للتراث – ١٤١٠هـ).

٢٣- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

٢٤- رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، تقديم: حسنين مخلوف.

٢٥- رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبدالمجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.

٢٦- الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي صححه وعلق عليه حسن السويدان، وقد م له عبدالقادر الأرناؤوط ط١ (دمشق – دار البشائر، ١٤٢٣هـ).

٢٧- الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، ت(٩٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د.صالح السدلان، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٨- سنن الترمذي، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبدالرحمن عثمان، نشر محمد الكتبي.

٢٩- سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٣٠- شرح السنة لأبي محمد الحسن البربهاري، تحقيق: خالد الروادي، ط٢، (الرياض - دار السلف - ١٤١٨هـ.

٣١- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق د.عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٣٢- الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، تأليف محمد بن صفي الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٤- صفة أهل التصوف للمقدسي نقلاً عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د.عبدالله الطريقي، ط١١٤١١هـ.

٣٥- الصوفية معتقدًا ومسلكًا، د/ صابر طعيمة ط٢ (الرياض - عالم الكتب-١٤٠٥هـ).

٣٦- الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.

٣٧- طريق الهجرتين، لابن القيم ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م).

٣٨- ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط٣، بيروت، الكتاب العربي.

٣٩- عوارف المعارف، عمر السهروردي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٤٠- الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية).

٤١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط١ (مكتبة المعارف- الرياض-١٤١٢هـ).

٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط١، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

٤٣- الفتوحات المكية لابن عربي، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩هـ.

٤٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (دار الشرق - مصر ١٣٨٨هـ).

٤٥- كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد إسماعيل ط١ (بدون: دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ).

٤٦- كشف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، أحمد الهيثمي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

٤٧- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د.عبدالله الطريقي، ط١، ١٤١١هـ.

٤٨- كشف المحجوب، علي الهجويري، دراسة وتعليق د.إسعاد عبدالهادي قنديل، مراجعة د.أمين بدوي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.
٤٩- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لأبي العباس أحمد بن حجر الهيثمي، تحقيق محمد عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
٥٠- الكلام على مسألة السماع لابن القيم، تحقيق ودراسة: راشد الحمد (دار العاصمة–الرياض–الطبعة الأولى–١٤٠٩هـ).
٥١- الكلام على مسألة السماع، لابن القيم، تحقيق محمد عزيز شمس، راجعه محمد أجمل الإصلاحي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، ط١، ١٤٣٢هـ.
٥٢- لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار القلم.
٥٣- اللمع، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د.عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
٥٤- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبدالوهاب الشعراني، (القاهرة، ١٩٦٥م).
٥٥- مجلةّ الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ.
٥٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين
٥٧- مختار الصحاح، للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
٥٨- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ.
٥٩- مسند الإمام أحمد، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
٦٠- المصادر العامّة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.
٦١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.
٦٢- المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بمصر، استانبول، دار الدعوة، ١٣٨٠هـ.
٦٣- المعيار المعرّب، أحمد الونشريسي، إشراف د. محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ.
٦٤- المغني، لابن قدامة، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ.
٦٥- مقدّمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ.
٦٦- مقدمة كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي، تحقيق: د. عبدالله الطريقي.
٦٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه

منصور السماري، ط٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
٦٨- الموفي بمعرفة التصوف والصوفي/ لأبي الفضل جعفر الأدفوي، تحقيق وتعليق: د/ محمد ضالحنة، ط١ (الكويت – دار المعرفة – ١٤٠٨هـ).
٦٩- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
٧٠- نظرية الاتصال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي.
٧١- نور التحقيق، حامد صقر (مصر: دار التأليف – ١٣٦٩هـ).
٧٢- الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله البستاني (بيروت: مكتبة لبنان – ١٩٩٠م) ص ٣٠٣ بدون رقم الطبعة).
٧٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م.

’Scholar’s perspective of ‘Al-Smaa

Muhammad Ahmad Aljwair
Dar Al Uloom University

Abstract. the research deals with one of the issues of behaviour in ‘Sufism’. This behaviour is called ‘hearing - Al-Smaa’ and is familiar amongst them as a worship which brings one closer to Allah. This behaviour is linked with other actions such as dancing, stunting, slapping, tearing clothes etc …
The current scholars hold the same opinion regarding this behaviour as the scholars from the past which condemned it to be an innovation in the religion. Furthermore they have responded to the innovators according to the right method of approach. Some imams, sheikhs, authors of Sufia and poets participates in these approaches .
What is remarkable that these responses and denials were in each era and epoch, this confirms the unity of the method in defending the faith and exposing the innovators' myths.